قافلة الزيت

رمضان ١٣٩٧ - اغسطس/سبتمبر ١٩٧٧





بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد التاسع - المجلد الخامس والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان
صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

التعليق على صورة الغلاف

لقطات تمثل جانبا من الخدمات الطبية في مركز الظهران الصحي.

راجع مقال « الخدمات الطبية في ارامكو »

تصوير : عبد اللطيف يوسف

محتويات العدد

٤



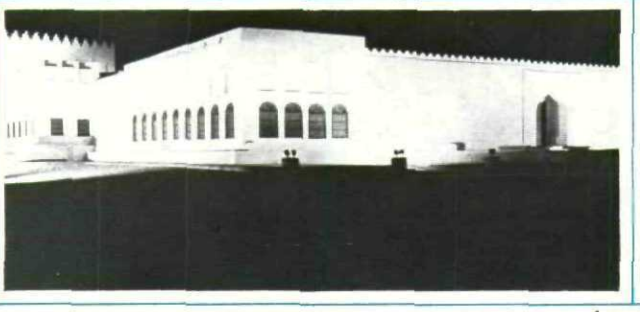
١٧



٢٠



٤٠



فن الزخرفة الاسلامية التي يزدان بها سقف الجامع الكبير في قرطبة بأسبانيا . راجع مقال « أثر الفن الاسلامي في الفن الغربي »
تصوير : خليل أبو الزهر

AL-MUTAWA PRESS COMPANY, DAMMAM شركة مطابع المطوع – الدمام



إنّ الصيام الاسلامي يختلف عن الصيام في الديانات الأخرى ، ويمتاز عليها بمزايا فيها الكثير من الحكمة والمتعة، ورياضة الجسد والروح على التقوى والخير.

ان القرآن الكريم يوجه المسلمين الى فريضة الصيام كعبادة روحية ، ورياضة جسدية في آن . يقول الله عز وجل : « **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون — اياماً معدودات** » الى ان قال : « **وان تصوموا خير لكم** » .

فالصيام في منهج الاسلام — لم يكن بدعاً بيننا نحن المسلمين ، فقد سبق الالزام الالهي به أمماً قبلنا على اختلاف في الكيفية ، وتعداد الأيام . وما تزال الأمم غير الاسلامية التي تدين بدين سماوي والتي لا تتمسك بدين تصوم على نحو خاص وفق طقوسها الموروثة وتقاليدها المتبعة .

وغاية الصيام الاسلامي : انما هي تصحيح الكيان الانساني نفسياً وجسدياً ، فهو كما جاء في القرآن الكريم (خير) للصائمين — يصحح أرواحهم وأبدانهم ، ويثبت تقوى الله في قلوبهم ، هذه التقوى التي هي سبيل الصلاح والفلاح ، وسبيل الاخاء والتواد بين جماعة المسلمين .

ونجد في التشريع الاسلامي لفريضة الصوم حجة تاريخية حيث كتب على الأمم قبلنا ، وحجة عملية واقعية ، وهي صحة الصائم بدنياً وروحياً ، وترشيد سلوكه في مجتمعه الاسلامي ، وبتعويده على ترك المباحات خلال صومه ليكون اقدر على ترك المحارم والمنكرات .

ان الاسلام يشترط لاستتمام جزاء الصوم ما تشير اليه هذه التوجيهات النبوية الحكيمة الكريمة :

فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه »

- « الصوم جنة ما لم يخرقها — قيل بم يخرقها يا رسول الله ؟ قال : بكذب او غيبة » .
- « اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه احد او قاتله فليقل اني امروٌ صائم »

اذن فليكف الصائم سمعه عن الاصغاء الى المحارم ، وبصره عن النظر الى العورات ، ولسانه عن الثرثرة بالأكاذيب ، ويده عن الكسب الحرام وعن البطش والخدش ، وليكف رجله عن السعي في المفاسد والمضرات . . فان لم يفعل ، فهو كما قال عليه الصلاة والسلام :

« رب قائم ليس له من قيامه الا السهر ، ورب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » .

وقد يظن كثير من الناس ان الصوم مجهدة ونقصان ، وقد فات هؤلاء ان يدركوا بالايمان والتجربة أنه نقصان كنقصان الزكاة . . يرتد الى رأس المال أضعافاً مضاعفة . فقد جاء في التوجيهات النبوية الحكيمة

- « صوموا تصحوا »
- « الصيام نصف الصبر »
- « لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم » .

ان الصيام — باختصار — عامل عبادي من عوامل عبادية اسلامية متعددة ، شرع للموازنة بين ملكية الانسان وحيوانيته ، وبين مطالب الجسد وهواتف الروح ، لئلا يكون المسلم كغيره من الناس المفرطين في الحيوانية ، المنصرفين الى المادية الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله : « **يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام**

يقول الامام الغزالي عن حكمة الصوم ومقاصده : « ان الانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرة عقله على كسر شهواته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه والمقصود من الصوم الاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الامكان . لأن الانسان كلما انهمك في الشهوات انحط الى أسفل السافلين ، وكلما قمع الشهوات ارتفع الى اعلى عليين » .

ويقول ابن القيم : ان للصوم تأثيراً عجيباً في حفظ الجوارح الظاهرة ، والقوى الباطنة ، وحمايتها عن تخليط المواد الفاسدة ، واستفراغ المواد الرديئة ، المانعة لها من الصحة »

هذا . . ولشهر رمضان ، وللصوم فيه مزايا وفضائل كثيرة منها ان الله عز وجل انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . واختصه بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر . وفي الحديث النبوي الشريف :

- « اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين ».
- « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حين يفطر — وفي رواية اخرى « حتى يفطر » — والامام العادل ، ودعوة المظلوم . . . » .
- « وفي الحديث القدسي : كل عمل ابن آدم له الا الصوم ، فانه لي وانا اجزى به . . يترك طعامه وشهوته من أجلي — والخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك » .

مِن ذكريات رمضان

ولرمضان المبارك ذكريات وامجاد . . ينبغي الا ننساها وان نذكرها كلما اهل علينا رمضان ، أولها الانتصار الاسلامي في غزوة (بدر) في السنة الثانية من الهجرة النبوية « الليلة السابعة عشر من رمضان » — وكان الرسول صلى الله

بقلم الأستاذ أحمد محمد جمال

عليه وسلم قائد المعركة ، وكان عدد جنود الجيش الاسلامي قرابة ثلاثمائة واربعة عشر .. بينما بلغ جنود العدو نحو تسعمائة مقاتل .

ومع هذا الفارق الكبير بين الجيشين عدداً وعدة انتصر الجيش الاسلامي ، وقتل من جنود العدو سبعين وأسر سبعين . وكانت معركة بدر فاتحة لانتصارات متتابعة دخل خلالها كثير من المشركين والكفار في دين الاسلام .

● ومن مواقف هذه المعركة المباركة في الشهر المبارك ان الرسول القائد صلى الله عليه وسلم كان يتضرع الى ربه عز وجل يستنجزه ما وعده من نصر قائلاً : (اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الارض .. اللهم نصرك الذي وعدتني) .

● وموقف آخر في معركة بدر .. هو ان الرسول صلى الله عليه وسلم جعل فداء اسرى العدو ان يعلم كل اسير عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة .. وكانت أول فكرة تنطلق من بدر وفي رمضان وقبل اربعة عشر قرناً .. لمكافحة الأمية ، والارتفاع على « المادة » في التعامل مع الأسرى .

° ° ° °

ثم تأتي الذكرى الثانية .. من ذكريات رمضان المبارك ، وهي ذكرى « فتح مكة » في السنة الثامنة للهجرة — وفيها نزل قوله تبارك وتعالى : **(اذا جاء نصر الله والفتح ، ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا)** .

وفي فتح مكة دخل الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الكعبة المشرفة وهو يعلو ما كان المشركون ينصبونه فيها من أصنام وأوثان — يعلوها بقضيبه يكسرها ويسقطها تالياً قوله تعالى : **« قل جاء الحق وزهق الباطل .. ان الباطل كان زهوقا »**

ومن مواقف هذا الفتح الرائع : ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال لاعدائه الذين اخرجوه من احب بلاد الله اليه — مكة المكرمة — وآذوه وآذوا أصحابه حتى اضطروه الى الهجرة الى المدينة المنورة .. قال لهم « اولاً » : « من دخل المسجد الحرام فهو آمن — ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن — ومن دخل بيته فأغلقه على نفسه فهو آمن » . ثم قال « ثانياً » لأشخاص معيّنين كانوا أكثر عداء وايذاء له ، وقد حضروا بين يديه : « ما تظنون اني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم — قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء »

إنّه محمد نبي الرحمة ، الرؤوف الرحيم — كما وصفه ربه في القرآن الكريم — وكما أكد القرآن ذلك في قوله عز وجل : **« وانك لعلى خلق عظيم »** وفي قوله أيضاً : **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** .

° ° ° ° °

وهناك ذكرى الفتح العربي الاسلامي لاسبانيا في شهر رمضان من سنة اثنين وتسعين للهجرة . حيث دخلها القائد المسلم طارق طارق بن زياد مع جنده الأبطال ، بعد معركة حامية الوطيس مع ملك اسبانيا « رودريك » الذي قتل فيها مذموماً مخذولاً .

وانتصر المسلمون وقامت الدولة الاسلامية في اسبانيا باسم « الاندلس » ، وأنشأ المسلمون حضارة عربية اسلامية استمدت اوروبا فيما بعد من اصولها ومناهجها حضارتها الجديدة ثقافياً وعلمياً وطبياً وفلكياً واجتماعياً ، وتخلفنا نحن اصحابها الاصلاء ! !

وفي رمضان أيضاً من سنة ٤٧٩ هجرية تعرضت الأندلس العربية المسلمة لمؤمرات الحقد الاسباني والعداء الاوروبي كله وتبعت هذه المؤامرات غزوات وهجمات ، فاستنصر المسلمون بملك المغرب (يوسف بن تاشفين) فنصرهم بجيش كبير قاده بنفسه ، وهزم الاسبان المغيرين ، وطردهم خارج الأندلس .

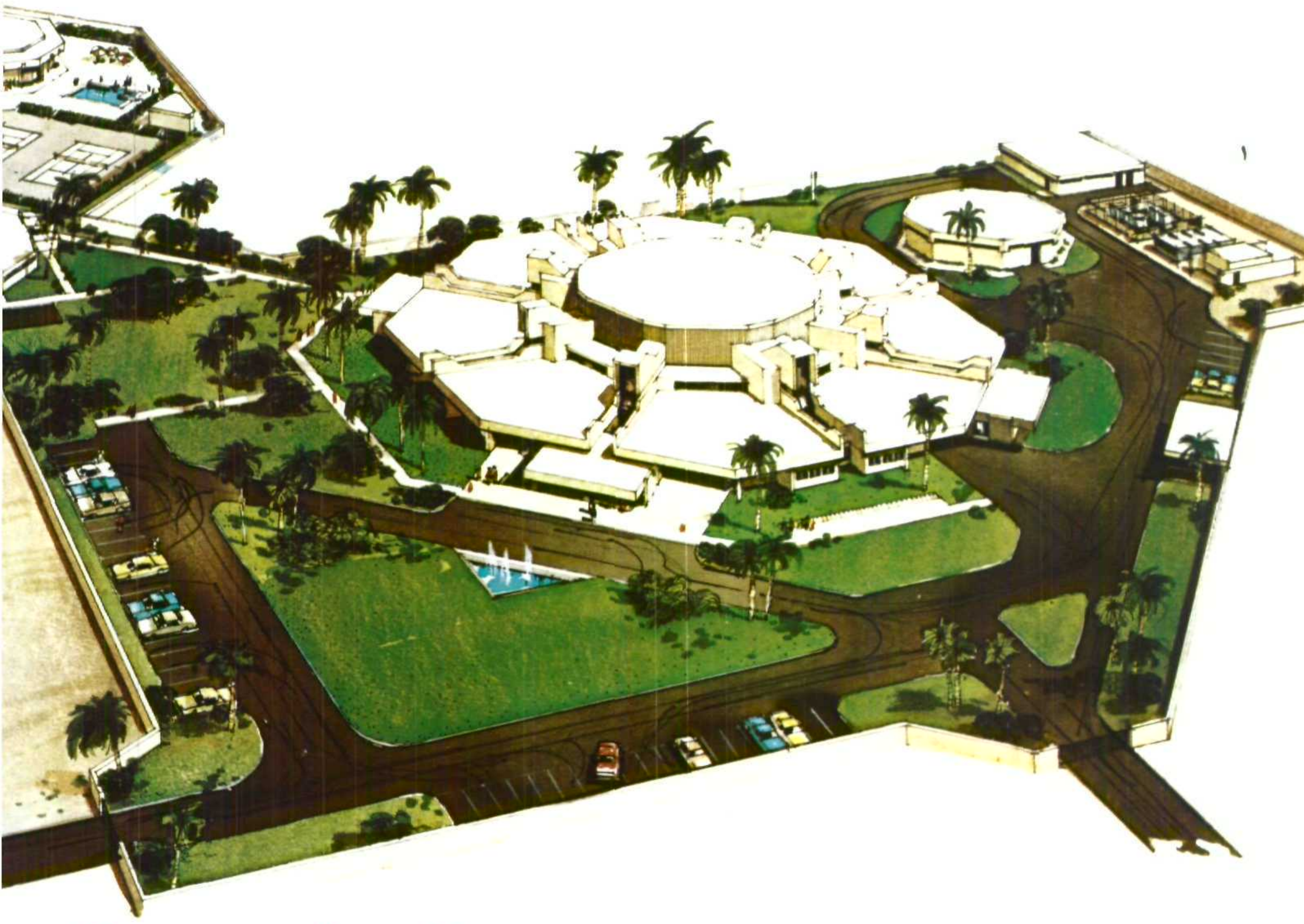
● وفي رمضان سنة ٦٥٨ هـ تعرضت مصر لغزو المغول الذين اغاروا على العالم الاسلامي ، وخربوا ودمروا المدن والقرى ، واستولوا على ايران والعراق والشام وواصلوا زحفهم الى مصر ، وارسل سلطان المغول الى سيف الدين قطز — سلطان مصر — يطلب منه تسليم مصر وعدم مقاومته ، ولكن السلطان قطز لم يأبه بتهديد المغول ، بل أمر بقتل رسل سلطانهم ، وعلقت رؤوسهم على باب زويله .. وخرج الى بلاد الشام لملاقاة العدو الشرس واشتبك المسلمون مع المغول في واقعة عين جالوت بالقرب من نابلس .. وقد أظهر المسلمون في المعركة شجاعة منقطعة النظير انتهت بانتصارهم انتصاراً رائعاً ومزقوا شمل المغول كل ممزق وخر قائدهم صريعاً في المعركة ، ولم ينج من المغول الا من لاذ بالفرار ..

وبانتصار المسلمين في واقعة عين جالوت توقفت غارات المغول المدمرة على مصر وضعف امرهم ، وكف الله عن المسلمين ويلاتهم ..

هَذه بعض ذكريات رمضان في التاريخ الاسلامي .. بل هذه هي بركاته ونفحاته على المسلمين في غزواتهم المجيدة ، وفتوحاتهم الرشيدة .. التي كانت عزة وبركة ورحمة للعالم الاسلامي .. بل للبشرية كلها لأن الاسلام كان وما يزال ظلها البارد الكريم .

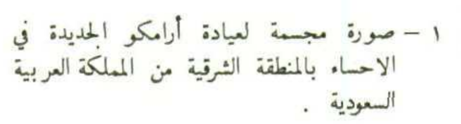
ثم كانت معركة العاشر من رمضان لعام ١٣٩٣هـ التي ستظل من ذكريات رمضان المبارك●

احمد محمد جمال — مكة المكرمة



الخدمات الطبيّة
في شركة أرامكو

جلبت الحضارة الحديثة معها أمراضاً استعصى علاج بعضها على أمهر الأطباء لكنها في الوقت نفسه فتحت آفاقاً واسعة في مختلف الحقول الطبيّة، وتحضير العقاقير. وقد قام العديد من العلماء ورجال الأبحاث بإجراء المزيد من الدراسات الطبيّة المكثفة تمكنوا عن طريقها من التعرّف إلى هذه الأمراض، ومن ثم التوصل إلى العقاقير اللازمة للتغلب عليها. وبالرغم من التقدم الكبير الذي طرأ على العلوم الطبيّة في عصرنا الحالي، فقد كان للعرب والمسلمين سهم وافر في ارساء قواعد هذا العلم وما تفرع عنه من علوم الصيدلة والعقاقير الطبيّة.



١ – صورة مجسمة لعيادة أرامكو الجديدة في الاحساء بالمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية .

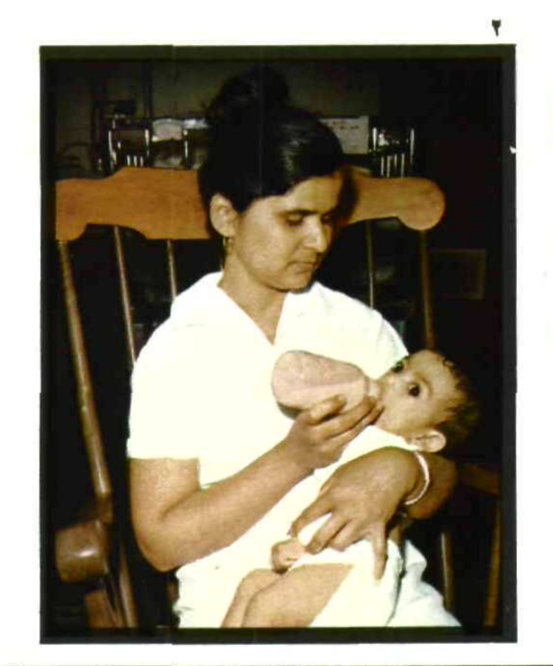
٢ – ممرضة في جناح الأطفال ترضع طفلا مريضاً.

٣ – احد المتدربين في عيادة الأسنان يفحص اسنان احد الأطفال .

٤ – احد العاملين في صيدلية أرامكو يعبىء زجاجات الأدوية لتكون جاهزة لصرفها الى الموظفين المرضى .

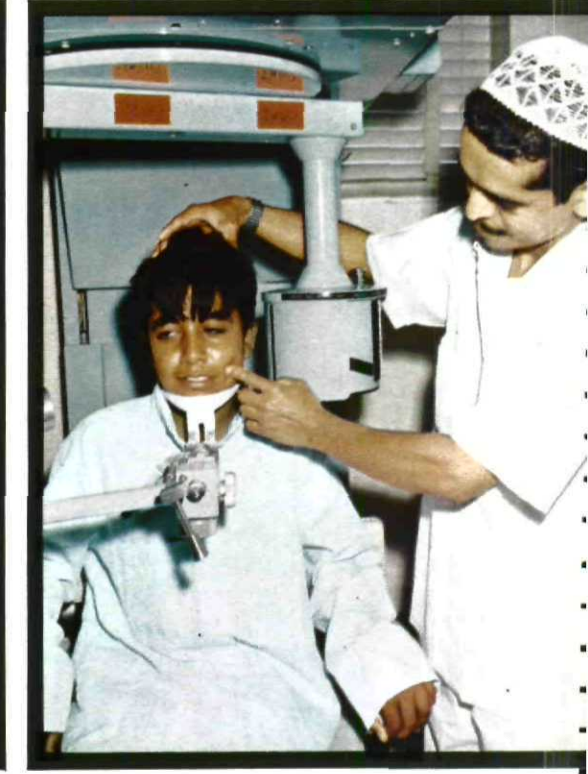


٢



٤





العرب والعلوم الطبية

كان العرب طوال قرنين من الزمن بعد الفتوحات الاسلامية سدنة الطب ، وفي اوائل القرن الهجري الثالث وصل هذا العلم وسائر العلوم الأخرى الى مستوى رفيع الشأن ، فازدهرت بذلك حضارة العالم الاسلامي مما حمل المؤرخين على تسمية ذلك القرن بالعصر الذهبي الاسلامي . فقد نبغ خلاله عدد من الأطباء العرب في العلوم الطبية ، من تشخيص لنوع المرض ، الى ايجاد العقاقير الطبية لعلاج تلك الأمراض . وتشير المصادر التاريخية إلى أن اول عربي درس الطب ومارسه كمهنة هو « الحارث بن كلدة » وكان طبيب العرب في عصره ، وأحد الحكماء المشهورين من أهل الطائف . رحل الى بلاد فارس فأخذ الطب عن أهلها . كان مولده قبل الاسلام ، وبقي ايام الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وايام ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية . وكان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يأمر من به علة أن يأتيه فيتطبب عنده . له كلام في الحكمة وكتاب « محاورة في الطب » بينه وبين كسرى انو شروان .

كما عرف من مشاهير اطباء العرب والمسلمين « ابو بكر الرازي » و « ابن سينا » اللذان لا تزال صورهما تزين جدران القاعة الكبرى في كلية الطب بجامعة باريس . وقد كان لمؤلفات الرازي ومآثره العلمية اثر كبير في اتساع شهرته كواحد من اعظم مفكري العصور الوسطى ، واحذق أطبائها . وظل مؤلفه «كتاب الأسرار» مرجعاً رئيسياً للمعرفة في اوروبا لقرون عديدة . اما الطبيب والفيلسوف العربي الكبير ابن سينا فقد طبقت شهرته الآفاق ، وظل كتابه « القانون في الطب » يدرس في جامعات اوروبا لمدة تزيد على ٥٠٠ عام .

وقد شخص اطباء عرب اقل شهرة من الرازي وابن سينا حوالي ١٣٠ مرضاً من امراض العين وحدها ، كما اكتشف ابن النفيس* الدورة الدموية قبل نحو ٥٠٠ سنة من ميلاد « سيرفيتس » البرتغالي الذي يعزى اليه اكتشافها .

وقد بنى الخليفة العباسي « هارون الرشيد » أول مستشفى في الاسلام . وقبيل أفول العهد العباسي ، لم تكد مدينة رئيسية عربية تخلو من مستشفى مزود بمكتبة ضخمة وبأساتذة يدرسون المواضيع الطبية . وكانت هذه المستشفيات مقسمة الى اجنحة للرجال وأخرى للنساء وأقسام للطب الداخلي والجراحة والعظام وامراض العين .

كما برع الأطباء والصيادلة العرب في اعداد العقاقير الطبية من الأعشاب والنباتات وكانوا يستحضرون بعض انواع العقاقير من خشب الصندل . وقد راجت تجارة قوافل العقاقير الطبية المستحضرة من الأعشاب التي كان العرب يتاجرون بها في العصور الوسطى. كما تمكن الجراحون من اختراع العديد من الأدوات الطبية التي اعتاد الأطباء استعمالها خلال القرن الحادي عشر الميلادي .

الطب في عصرنا الحالي

حظي الطب في عصرنا الحالي باهتمامات واسعة في معظم بلدان العالم ، وعلى جميع المستويات ، وتطورت تبعاً لذلك طرق الأبحاث الطبية ، وبالتالي طرق العلاج . وقد ادت هذه التطورات الى تحسن كبير في المجال الصحي العام . كما اخذت المؤسسات والشركات على عاتقها تأمين الخدمات الطبية المجانية لموظفيها وعائلاتهم .

الخدمات الطبية في ارامكو

منذ أن بدأت ارامكو اعمالها في المملكة العربية السعودية في الثلاثينات من القرن الحالي ، وهي تؤمن الخدمات الطبية المجانية لموظفيها وعائلاتهم . وقد بلغ عدد الذين يتلقون العلاج الطبي المجاني في ارامكو خلال عام ١٩٧٦ على سبيل المثال اكثر من ٨٨ ألف شخص . منهم ٧٦٨٠٠ من الموظفين العرب السعوديين وعائلاتهم ، والباقون من الموظفين الأجانب .

لقد مرت الخدمات الطبية في ارامكو بمراحل تطويرية ثلاث ، اولاها في أواخر الثلاثينات من القرن الحالي ، حيث كان لدى أرامكو في ذلك الوقت طبيب واحد يساعده اثنان من الممرضين لمعالجة الحالات الطارئة . ثم جاءت المرحلة الثانية عقب توسع اعمال الشركة وازدياد عدد الموظفين العاملين لديها ، مما اوجب بالتالي توسع مماثل في الخدمات والمنشآت الطبية . وقد شهد عام ١٩٥٣ انشاء ثلاثة مستشفيات حديثة مزودة بالمعدات والأجهزة الطبية الكاملة ، واحد في الظهران ويضم ٢٤٣ سريراً ، والثاني في رأس تنورة ويضم ٣٢ سريراً والثالث في بقيق ويضم ٣٢ سريراً أيضاً .

اما المرحلة الثالثة فكانت في مطلع الستينات من القرن الحالي حيث شهدت المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية تطوراً ملحوظاً في مجال الخدمات الطبية ، وذلك في اعقاب انشاء مستشفيين حديثين في مدينة الخبر التي تبعد حوالي عشرة كيلو مترات من الظهران ، المركز الرئيسي للشركة ، وقيام تعاون وثيق في الحقل الطبي بين هذين المستشفيين وبين الادارة الطبية في ارامكو التي قدمت من جانبها المساعدة الفنية في كل ما يختص بالشؤون الطبية والادارية بهدف تمكين هذين المستشفيين من تقديم الخدمات الطبية للمواطنين في المنطقة .

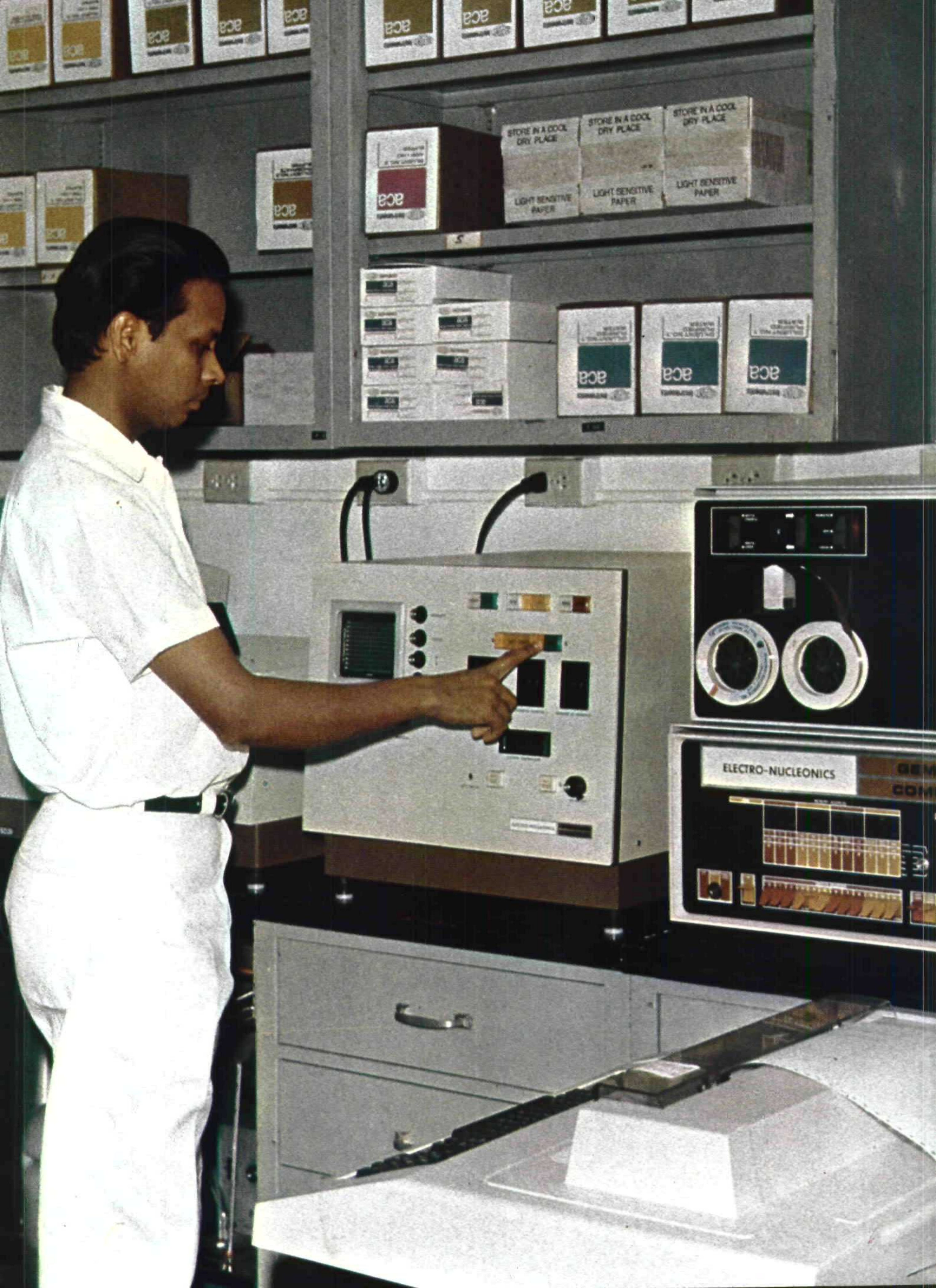
وفي عام ١٩٦٨ عمدت ارامكو الى تطبيق المركزية بالنسبة لمستشفياتها . فجعلت



الدكتور خالد طبارة استاذ مساعد في طب العيون بجامعة كاليفورنيا الأمريكية يلقي محاضرة عن طب العيون .

احد اجهزة فحص الدم الحديثة في مركز الظهران الصحي

* راجع مقال « ابن النفيس » في عدد ربيع الثاني ١٣٩٧ قافلة الزيت


STORE IN A COOL DRY PLACE
LIGHT SENSITIVE PAPER
aca
ELECTRO-NUCLEONICS

مركز الظهران الصحي المستشفى الرئيسي لعلاج المرضى من الموظفين الذين تقتضي ظروف علاجهم الاقامة في المستشفى ، وألغت الاسرة التي كانت موجودة في كل من رأس تنورة وبقيق .

أقسام العيادات في أرامكو

تضم العيادات الخارجية في ارامكو ، اقسام الطب العام ، الجراحة ، الطب الباطني ، طب الأطفال ، الولادة ، الأمراض النسائية ، طب العيون ، قسم الأنف والأذن والحنجرة وطب الأسنان . وهناك أقسام أخرى مساندة للعيادات من أجل تشخيص الأمراض مثل وحدة الأشعة ، ووحدة علم الأمراض « الباثولوجي » ، ووحدة التخدير ، ووحدة المعالجة الطبيعية كالتدليك والتمارين الرياضية والماء والضوء والحرارة والكهرباء ، بالاضافة الى العديد من المختبرات التي تقوم باجراء مختلف التحاليل اللازمة مما يسهل على الطبيب مهمة تشخيص المرض بشكل دقيق .

وقد اضاف مركز الظهران الصحي مؤخراً جهازاً جديداً لوحدة خدمات علم الأمراض ويدعى جهاز « ديوبونت الاتوماتيكي للتحليل المستوصفي » ، وهو عبارة عن جهاز حاسب لاجراء الفحوص والتحاليل الكيماوية على الدم . وبوجود هذا الجهاز اصبح بالامكان انجاز معظم الفحوص خلال سبع دقائق ونصف الدقيقة ، في الوقت الذي كانت فيه مثل هذه الفحوص تستغرق من ساعتين الى ثلاث ساعات بالطرق اليدوية .

ومن محاسن هذا الجهاز الطبي الجديد الذي جرى تركيبه منذ فترة قصيرة ، قدرته على تقييم ٢٩ فحصاً منفرداً لكيماوية الدم واعطاء التقديرات الدقيقة لمختلف المواد الموجودة في الدم مثل الجليكوز ويوريا النيتروجين والكولسترول وبعض الخمائر الخاصة التي لها علاقة بعمل وظائف القلب والكبد والكلى .

والخطوة الاولى في عملية تحليل الدم هي وضع عينة من مصل الدم المأخوذة من المريض في وعاء للعينات ، ثم تنفصل العينة وتتوزع في عائين من المعدن في محطة التعبئة ، وهي جزء من الجهاز . وترفق بطاقة المريض مع عينة مصل الدم ، ويتم وضع كيسين من المواد الكيماوية الكاشفة خلف العينة . ولهذه المواد الكاشفة نشاط كيماوي أو عضوي قادر على اكتشاف وقياس مركبات خاصة في الدم .

العيادات الخارجية

انشأت ارامكو عيادات خارجية في معظم المناطق التي تعمل فيها تقريباً ، وفي المناطق التي تضم عدداً كبيراً من العاملين لديها كما هي الحال بالنسبة لعيادة ارامكو الخارجية في الأحساء . وقد زودت هذه العيادات بالمعدات الطبية الحديثة وبعدد من الأطباء والممرضين والممرضات والمختبرات وغير ذلك . واكبر هذه العيادات واكثرها نشاطاً عيادات الظهران الخارجية حيث المقر الرئيسي للشركة وحيث يوجد اكبر عدد من الموظفين . وقد بلغ معدل الزيارات اليومية لعيادات الظهران الخارجية خلال العام الماضي ١٠٦١ زيارة ، تليها عيادات رأس تنورة ثم عيادات بقيق .

هذا وقد افتتحت أرامكو عيادات خارجية لها في كل من الأحساء والسفانية والعضيلية ، وشيبه . وهناك ايضاً عيادة خارجية على ظهر صندل الحفر البحري — ٢ .

الجهاز الطبي في أرامكو

يعمل في مستشفيات ارامكو عدد كبير من الأطباء العموميين والاختصاصيين والممرضين والفنيين والاداريين . وقد بلغ مجموع العاملين في هذه المستشفيات في عام ١٩٧٦ حوالي ١٠٨١ شخصاً .

هذا وقد بلغ عدد العمليات الجراحية التي اجريت في مركز الظهران الصحي خلال العام الماضي ٢٥٣٨ عملية . كما تم ارسال حوالي ٤٧ مريضاً للعلاج خارج المملكة و٢٦ حالة للعلاج في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض .

الأقسام الطبية الأخرى في أرامكو

الطب الوقائي : ويتلخص في القول المأثور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » . وانطلاقاً من هذا الأساس يبذل المسؤولون عن قسم الطب الوقائي في ارامكو كل جهد ممكن من أجل المحافظة على صحة المجتمع الذي تعمل فيه الشركة وصحة العاملين لديها وذلك عن طريق مكافحة الأمراض والحيلولة دون انتشارها . كما يهدف الطب الوقائي الى رعاية الأمهات خلال فترة الحمل والولادة وحماية الأطفال بعد ولادتهم ، ذلك ان كثيراً من الوفيات بين الأطفال تحدث خلال السنة الاولى من الولادة ، والمعروف ان تقدم الأمم من الناحية الصحية يقاس بنسبة عدد الوفيات بين الأطفال الحديثي الولادة . هذا وينقسم الطب الوقائي في ارامكو الى عدة وحدات وذلك حسب التجمعات السكانية والعمالية التي يهدف الى وقايتها . وتشمل هذه الوحدات كلا من الطب الصناعي والطب الوبائي ، والتثقيف الصحي ، والصحة البيئية .

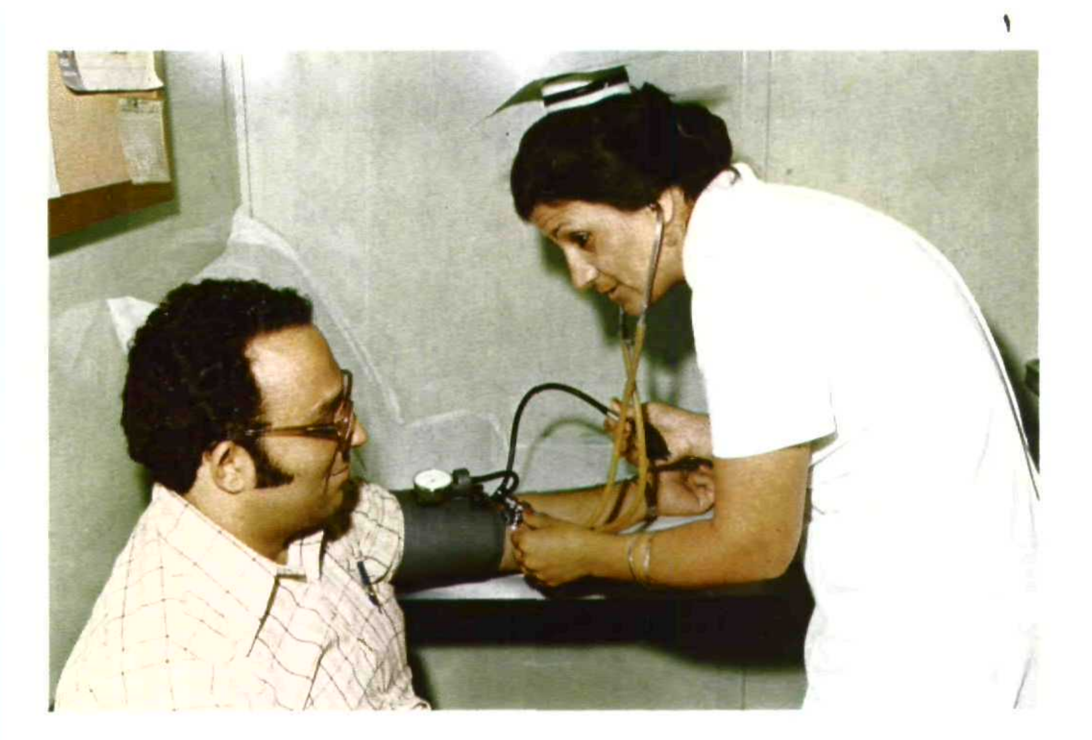
فالطب الصناعي يقوم على حماية الموظفين العاملين لدى المصانع والمعامل من أية أخطار . ونظراً لأن ارامكو ، وهي من كبريات شركات الزيت في العالم ، تملك عدداً كبيراً من والمعامل الخاصة بصناعة الزيت ، فانها تولي هذا المجال اهمية خاصة . ومن المهام الرئيسية المنوطة بوحدة الطب الصناعي اجراء دراسات عن البيئة تشمل الضجيج الناجم عن المعدات والآلات التي تستخدم في صناعة الزيت بغية الوصول الى انجع الوسائل والطرق التي تمكنهم من تخفيف حدة ضجيج هذه المعدات وخاصة تلك التي في معامل فرز الغاز من الزيت ومرافق معمل التكرير وغيرها من المعامل الأخرى. كذلك اجراء دراسات مكثفة لمعرفة الآثار الجانبية التي تتركها المواد الكيماوية المستخدمة في صناعة الزيت على العاملين في هذه المعامل بقصد الحد من اخطارها أو ايجاد البدائل اللازمة لها ، هذا بالاضافة الى اجراء فحوص طبية سنوية على العاملين في المصانع بهدف التأكد من سلامتهم . وللتغلب على مشكلة الضجيج الصادر عن المعامل ، يستخدم العاملون أدوات خاصة لوقاية آذانهم والحفاظ على سلامة اسماعهم . وزيادة في حرصها على سلامة موظفيها ، فان الشركة تأخذ في اعتبارها دائماً لدى استخدام اية معدات جديدة في معاملها ان يكون الضجيج الناجم عن تشغيلها ضمن الحدود التي لا تضر بالسمع.

الطب الوبائي : يهدف الى منع انتشار الأمراض المعدية والحيلولة دون استفحالها ، ومن هذه الأمراض الوبائية مثلا الكوليرا . وقد استطاع قسم الطب الوبائي في حكومة المملكة العربية السعودية بالمنطقة الشرقية بالاشتراك

١ – ممرضة في مستشفى أرامكو تفحص ضغط احد المرضى قبيل احالته الى الطبيب المختص .

٢ – جانب من جناح الأطفال التابع لمركز الظهران الصحي بارامكو .

١



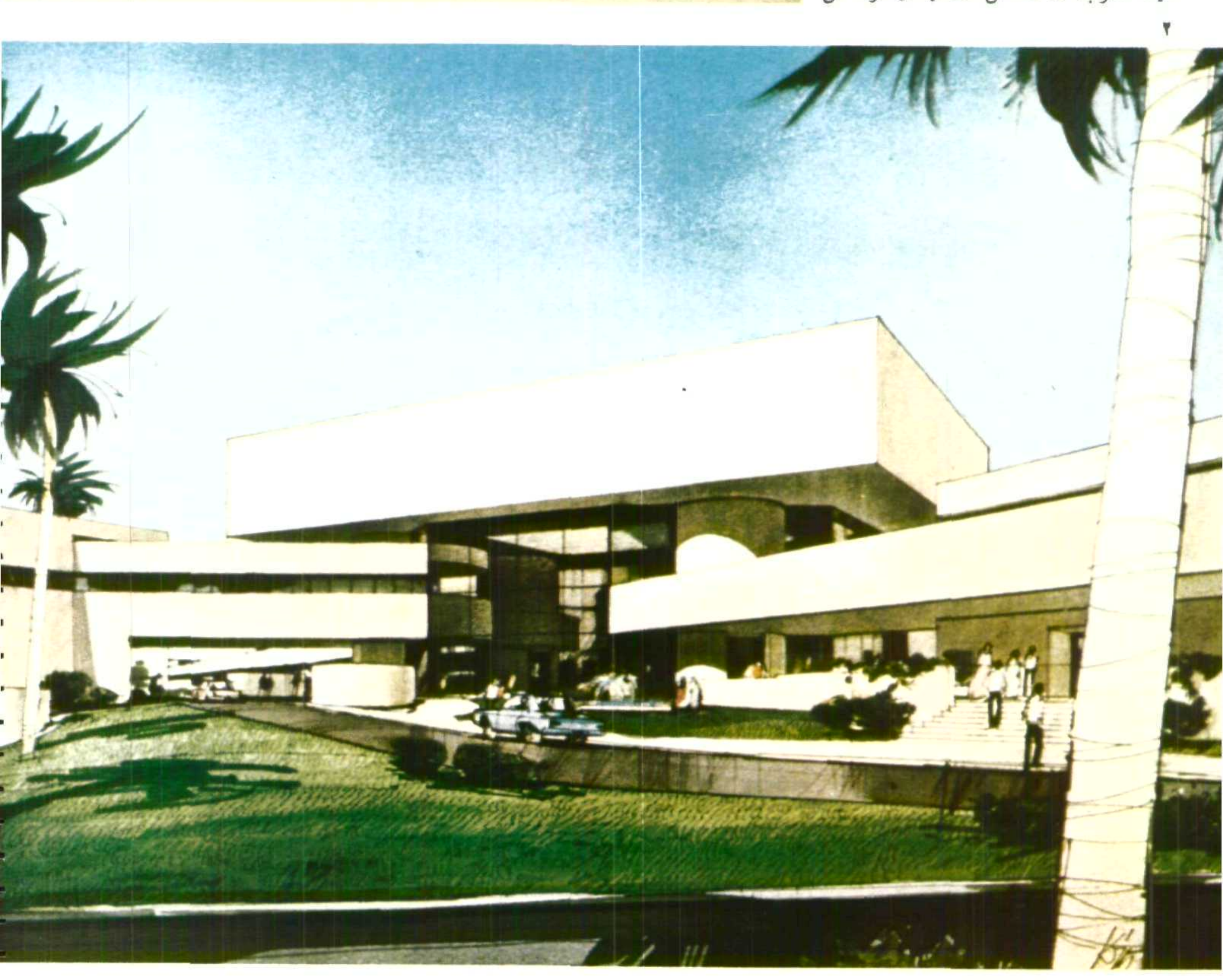
١

مع قسم الطب الوبائي في الشركة ، استطاعا في السنوات الأخيرة القضاء نهائياً على هذا الوباء .

التثقيف الصحي : يتجه نشاط هذه الوحدة الى النواحي العامة من الصحة الوقائية وهو يهتم بشكل خاص برعاية الأمومة والطفولة وذلك عن طريق عرض الأفلام التثقيفية التي تعنى بالحوامل والأطفال الحديثي الولادة . كما يقوم القسم باصدار النشرات والملصقات الصحية التي تبين على سبيل المثال الاضرار الناجمة عن التدخين وما يسببه من تلف للرئتين . كما تقوم الوحدة باعداد برامج معينة للتدريب على الاسعافات الأولية .

الصحة البيئية : تنحصر مهام هذه الوحدة في اجراء فحوص وتحاليل دورية على مصادر مياه الشرب للتأكد من نظافتها وخلوها من

٢



الشوائب ، وكذلك في الكشف عن مصادر الأغذية للتأكد من نظافتها . هذا بالاضافة الى مكافحة الحشرات والقضاء عليها .

الأبحاث الطبية في أرامكو

انهى قسم الابحاث الطبية في ارامكو برنامجاً خاصاً عن ابحاث التراخوما بالاشتراك مع قسم الأبحاث الطبي في جامعة هارفارد الامريكية استمر عشرة اعوام ، وقد انتهى هذا البرنامج في سبتمبر عام ١٩٧٥ . ويقوم هذا القسم حالياً باجراء الابحاث اللازمة للتعرف الى جرثومة « مرض الخلايا المنجلية — The Sickle Cell Disease » وهو مرض يصيب الدم . وقد فرغت ارامكو موءخراً من اعداد فيلمين عن التثقيف الصحي احدهما باللغة العربية والآخر باللغة الانجليزية .

التوسعات الجديدة في مرافق أرامكو الصحية

انتهى العمل موءخراً من وضع التصاميم اللازمة لاجراء توسعة رئيسية شاملة بالنسبة للمرافق الصحية في ارامكو ، وتشمل هذه التوسعة العيادات الخارجية في مناطق عملها الثلاث ، الظهران وبقيق ورأس تنورة . كما يجري العمل على انشاء عيادة خارجية في كل من الاحساء والعضيلية بالاضافة الى عيادة جديدة لطب الأسنان في الظهران .

وستحدث التصاميم الجديدة التي يجري تنفيذها بالنسبة لمركز الظهران الصحي تغييراً كبيراً في مظهره الطبيعي ، كما سيجري اعادة تنظيم توزيع المرضى ورفع مستوى كفاءته ، وكذلك رفع طاقة استيعابه الحالية من ١١٠ أسرة الى ٣٦٠ سريراً عند الانتهاء

١ — جانب من التوسعة الجارية على مركز الظهران الصحي .

٢ — صورة مجسمة لمبنى مركز الظهران الصحي الجديد بعد اكتمال اعمال التوسعة الجارية حالياً .

٣ — احدى مراحل التوسعة في مركز الظهران الصحي .

٤ — مرحلة اخرى من مراحل التوسعة في مركز الظهران الصحي .

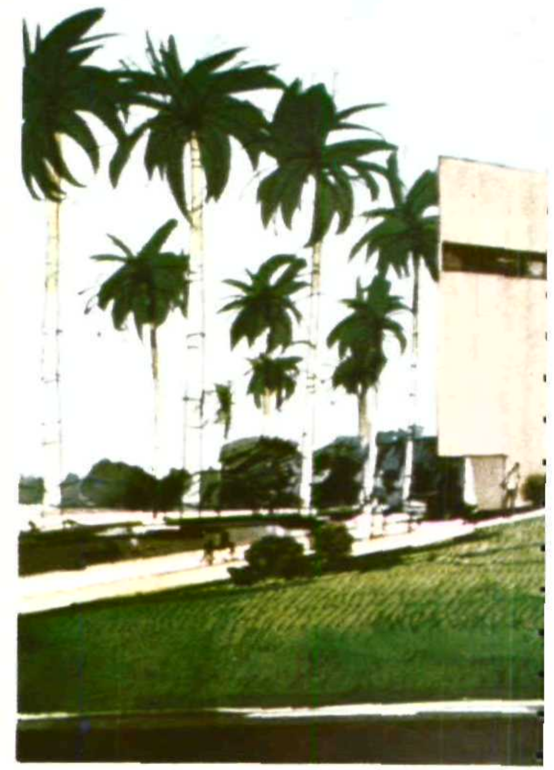
٣



٤







من اعمال التوسعة . كما سيتم انشاء اربعة اجنحة اضافية بما فيها جناح جديد للمستشفى واجراء توسعة كبيرة على المدخل الشمالي ، بحيث يمكن مراقبة عملية التنقل في معظم اقسام المبنى . كما سيجري انشاء ملحق يتألف من طابقين الى الجنوب من المبنى الحالي وآخر يتألف من طابق واحد يقع بين الجناح الحالي رقم — ٦ والعيادة الطبية « ب » .

وفيما يختص بالمختبرات وغرف الأشعة وقسم المعالجة الطبيعية وبنك الدم والمكتبة الطبية والمستودع العام ، فان جميع هذه الاقسام ستجري عليها توسعة شاملة ، وستنتقل الى الاضافة الجنوبية الجديدة والى الجزء الذي





جانب من عيادة الاسنان في مركز الظهران الصحي

صيدلي يعد الأدوية المطلوبة حسب وصفات الأطباء للمرضى من الموظفين .

يشغله حالياً قسم معالجة الحالات الطارئة .

اما بالنسبة الى مركز الأحساء الصحي فقد صمم على شكل دائري ، تتوسطه قاعدة انتظار تمكن العاملين فيه من استقبال اكبر عدد ممكن من المراجعين ، كما يشتمل المركز على ادارة طبيــة مستقلة ، تتوسط قاعة الاستقبال .

والجدير بالذكر ان هذا المركز الصحي الحديث قد يصبح نموذجاً للمراكز الصحية الاخرى المزمع اقامتها في جميع مناطق الشركة . ويضم المركز غرفاً لفحص المرضى ومختبرات طبية ، وغرفة اشعة ، ومكاتب ادارية ومستودعات للتخزين .

ارامكو والمؤتمرات الطبية الدولية

تشارك الإدارة الطبية في ارامكو في العديد من المؤتمرات الطبية الدولية التي تعقد بين الحين والآخر في انحاء متفرقة من العالم وذلك بهدف تبادل المعلومات الطبية والاستفادة من المنجزات الحديثة في مختلف العلوم الطبية . وكان آخرها المؤتمر الطبي الذي عقد في الرياض في شهر مايو من عام ١٩٧٧ ، وحضره عدد كبير من الأطباء والاختصاصيين والاداريين . كما شارك فيه مندوبون عن مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض والادارة الطبية في ارامكو ، ومندوبون عن عدد من المستشفيات الحكومية والاهلية في المملكة .

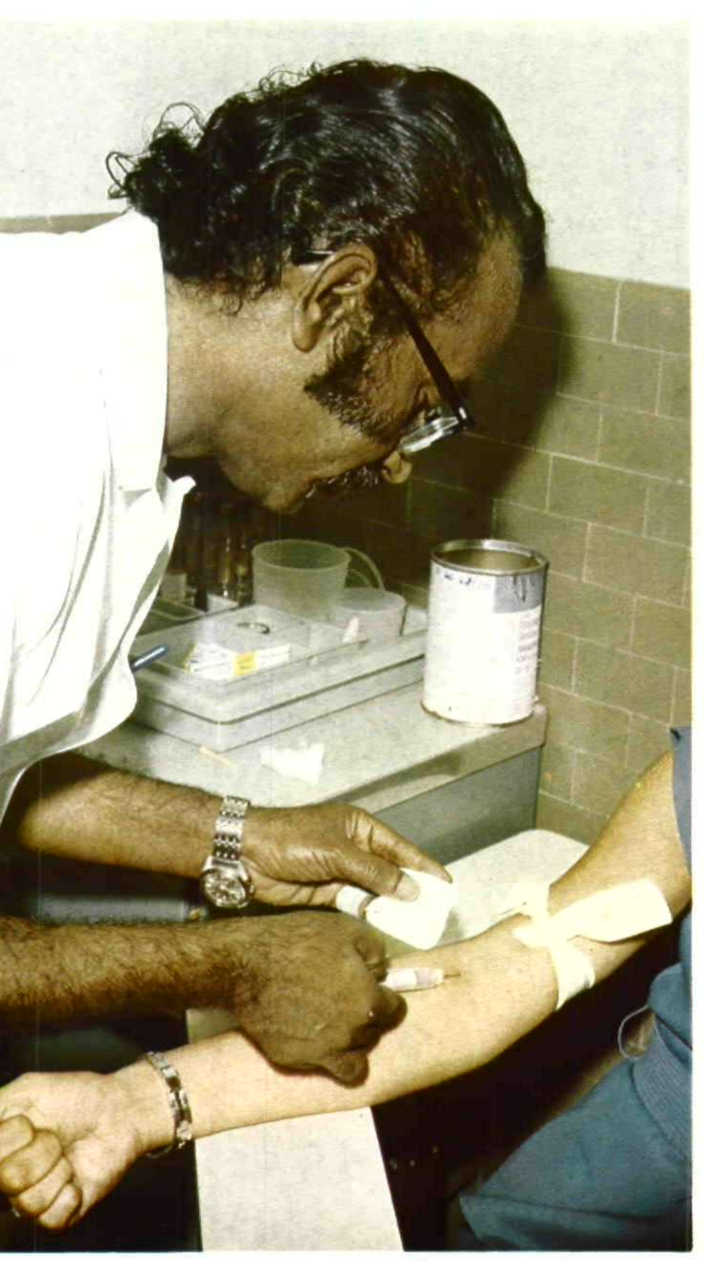
وبعد . . فان ارامكو تقدم العناية الطبية المجانية لجميع موظفيها والى افراد عائلاتهم وهي تستخدم من اجل ذلك احدث ما توصلت اليه التقنية في حقل الطب من أجهزة طبية ومختلف انواع العلاجات والعقاقير الطبية الأخرى●

اعداد : يعقوب سلام - هيئة التحرير

تصوير : عبد اللطيف يوسف



المتبرعين يعطي كمية من دمه تحفظ في بنك الدم في أرامكو للحالات الطارئة .



فني مختبر يأخذ عينة دم لاحد المرضى لتحليلها

طرق البحث في الاسلام

بقلم: الدكتور محمد شوقي الفنجري

قواعد وأنظمة الإسلام

القواعد والانظمة في الاسلام نوعان :

قواعد وانظمة سنها الله تعالى بآيات قرآنية وأحاديث الهمها رسوله أو اقره عليها فهذا تشريع الهي محض . فأساس هذا النوع من الاحكام هو القرآن والسنة .

قواعد وانظمة سنها مجتهدو المسلمين من الصحابة وتابعيهم والائمة استنباطاً من نصوص القرآن والسنة . وهذه تعتبر تشريعاً إلهياً باعتبار مرجعها ومصدرها ، وتعتبر تشريعاً وضعياً باعتبار جهود المجتهدين في استقرائها واستنباطها .

فأساس هذا النوع من الاحكام هو الاجماع والاجتهاد على اساس ما ورد في القرآن والسنة . فمصدر الاحكام في الاسلام ايا كانت تعبدية او اجتماعية او سياسية او اقتصادية هو الله تعالى ، وكما يقول الفقهاء « لا حكم الا لله » ، وهذا مصداق قوله تعالى : « **ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين** » وقد عبر عن ذلك الامام الشافعي بقوله : « ما من واقعة تعرض لمسلم الا ولله فيها حكم » بعضها كشفه الشارع بنصوصه وبعضها لم يكشفه بنصوصه فيتعرف المجتهد حكم الله فيها بمختلف طرق الاستدلال ، فهو لا ينشيء ولا يثبت حكمها من عنده وانما يظهر ويكشف حكم الله فيها وذلك حسب اجتهاد المجتهد واعتقاده لا حسب الحقيقة التي لا يعلمها الا الله ، ومن ثم كان الحديث النبوي « اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد ثم اخطأ فله أجر » .

طرق البحث في الإسلام

وطريق الباحث في الاسلام هو ان يبحث حكم المسألة مثار البحث في القرآن والسنة ، فان لم يجد يبحث في اجماع أئمة المسلمين ، فان ما ارتآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن . فان لم يجد يجتهد برأيه في حدود ما قضت به الشريعة .

وهذا هو ما اشار اليه الرسول عليه الصلاة والسلام حين بعث معاذ ابن جبل حاكماً على اليمن فقال له : «كيف تقضي اذا عرض لك قضاء» قال : « اقضي بكتاب الله » قال : « فان لم تجد في كتاب الله » قال : « فبسنة رسول الله » قال : « فان لم تجد في سنة رسول الله » قال : « اجتهد رأيي ولا آلو » اي لا اقصر في اجتهادي ، قال الرسول : « الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله ورسوله »

مجال الإجتهاد في الاسلام

● ما لا نص فيه اصلا ، وهو الكثير مما تستحدثه ظروف البيئة وتطور اساليب الحياة .

● ما ورد فيه نص ، ولكنه ظني الورود او ظني الدلالة .

– ظني الورود كأغلب نصوص السنة ، وهي تنقسم الى سنة متواترة وسنة مشهورة وسنة آحاد (١) .

– وظني الدلالة كأغلب نصوص القرآن والسنة فهي ليست قطعية الدلالة على المراد منها ، فكما يحتمل ان تدل عل هذا المعنى يحتمل أن تدل على معنى آخر (٢) .

اما النص قطعي الدلالة على المراد منه فلا اجتهاد فيه اذ القاعدة انه لا اجتهاد فيما فيه نص صريح قطعي ، مثل تحريمه تعالى الخمر ومثل قوله تعالى : « **للذكر مثل حظ الانثيين** » .

ففيما لم يرد فيه نص اصلا ، او ورد فيه نص غير قطعي ، مجال للاجتهاد وذلك بالطرق الشرعية وهي القياس والاستحسان والاستصلاح والاستصحاب .

القيـــاس

وهو الحاق واقعة لا نص على حكمها ، بواقعة ورد نص بحكمها ، في الحكم الذي ورد به النص لتساوي الواقعتين في علة هذا الحكم ، فشرب الخمر واقعة دل النص على حكمه وهو تحريمه في قوله تعالى : « **انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه** » فتعاطي اي نوع من المخدرات له ما للخمر من تأثير على العقل يسوى بالخمر في حكمه ويحرم .

الإسْـتحسَـان

وهو عدول عن حكم يقتضيه عموم النص كتحريم الميتة ولحم الخنزير والترخيص به حال الضرورة بقوله تعالى « **فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه** » ، وكنهي الرسول عن بيع المعدوم وترخيصه في السلم . « وهو شراء آجل بعاجل حيث يكون المبيع مؤجلاً والثمن معجلاً ». وكعدم تطبيق الخليفة عمر بن الخطاب حد السرقة عام المجاعة ، وكفتوى الامام الغزالي ، اذا تترس عدو للمسلمين بأسرى منهم وفي قتلهم مخالفة لقوله تعالى : « **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها** » بقوله انه يباح ضربهم توصلاً للعدو اذ يرتكب أهون الشرين لاتقاء اشدهما والضرورات تبيح المخظورات .

وقد يكون الاستحسان ايضاً في صورة عدول عن حكم يقتضيه ظاهر القياس ، كالترخيص بالافطار في غير المرض او السفر اذا وجدت مشقة ، وبالعكس منع الافطار على المريض او المسافر بغير مشقة .

فالاستحسان هو في الحقيقة تشريع بالمصلحة فيما ورد فيه نص وذلك بمقتضى نص اخر يخصصه .

الإسْـتصْلاح

وهو التشريع بالمصلحة فيما لم يرد به النص ، ولا سبيل الى الحكم فيه بالقياس . ويشترط ان تكون المصلحة حقيقية لا وهمية (٣) . وان تكون المصلحة عامة لا فردية (٤) . وتعتبر المصلحة مرسلة لانها مطلقة من دليل اعتبار او الغاء .

---

(١) **السنة المتواترة** : هي التي تلقاها عن الرسول ونقلها الينا جموع التواتر كالسنن العملية في الصلاة والصوم والحج والاذان الى غير ذلك من شعائر الدين التي تلقاها المسلمون عن الرسول بالمشاهدة او السماع جموعاً عن جموع من غير اختلاف في عصر عن عصر أو قطر عن قطر .

والسنة المشهورة : وهي التي رواها عن الرسول آحاد لم يبلغ جمع التواتر ثم نقلها عنهم جمع من جموع التواتر وهكذا حتى وصلت الينا ، كأحاديث : بني الاسلام على خمس ، وانما الأعمال بالنيات ، ولا ضرر ولا ضرار . **وسنة الاحاد** : وهي التي رواها عن الرسول آحاد لم يبلغ جمع التواتر ثم نقلها عنهم مثله وهكذا حتى وصلت الينا بسند طبقاته آحاد لاجموع التواتر ، وهي أغلب الأحاديث التي جمعت في كتب السنة وتسمى خبر الواحد .

(٢) ذلك بسبب ان في النص لفظاً مشتركاً لغة بين معنيين او أكثر مثل قوله تعالى : « **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء** » فلفظ القرء لغة يطلق على الطهر كما يطلق على الحيض ، فاختلف المجتهدون في ان عدة المطلقة ثلاثة حيضات او ثلاثة اطهار . او ان فيه لفظاً عاماً يحتمل التخصيص او مطلقاً يحتمل التقييد مثل قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم** » فلفظ الميتة عام ، يحتمل الدلالة على تحريم كل ميتة ويحتمل ان يخصص التحريم ما عدا ميتة البحر ، فكل مجتهد يفهم منه حسب ما ترجح عنده من القرائن ووجهات النظر .

(٣) فلا يبنى تشريع على مجرد توهم المصلحة كسلب الزوج حق التطليق وجعله للقاضي .

(٤) فلا يصدر تشريع لمجرد نفع امير او فرد بصرف النظر عن أكثر الناس لأنها اذا كانت عامة كانت مقصودة للشارع ولو فيها مضرة لفرد أو أفراد .

الإستصحاب

هو الحكم على الشيء بالحال التي كان عليها من قبل ، حتى يقوم دليل على تغير تلك الحال . فهو آخر دليل شرعي يلجأ اليه المجتهد لمعرفة حكم ما عرض له . ولذلك يسميه الاصوليون انه آخر مدار الفتوى ، فهو تشريع العرف او شرع ما قبلنا ، والمقصود بالعرف هو العرف الصحيح لا الفاسد اي الذي لا يعارض دليلاً شرعياً أو يبطل واجباً او يحل محرماً كالتعامل بالربا وتبرج النساء .

شروط المجتهد في الإسلام

ويتبين من ذلك انه يشترط في المجتهد في الاسلام عدة شروط :

● ان يكون على علم باللغة العربية وطرق دلالة عباراتها ومفرداتها ، اذ أول وجهة للمجتهد في الاسلام هو نصوص القرآن والسنة وفهمها كما يفهمه العربي الذي وردت هذه النصوص بلغته .

● ان يكون على علم بالقرآن السنة ، والمراد هو العلم بالاحكام الشرعية التي ورد بها القرآن او السنة . وهناك مجموعات عديدة للقرآن والسنة تيسر الرجوع للباحث ، وما زال الباب مفتوحاً للتبويب والتقسيم وتيسير سبل البحث.

● ان يكون على علم بطرق الاستدلال الشرعية من قياس واستحسان واستصلاح واستصحاب . . . الخ .

● ان يكون على علم بالمجال الذي يريد معرفة حكم الشرع فيه ، سياسياً كان او اجتماعياً او اقتصادياً . ولعل هذا الشرط الأخير هو اليوم من أهم الشروط . اذ لم يعد يكتفى فيمن يتصدى لحكم الاسلام في مختلف مشاكل العصر وهي مشاكل معقدة متطورة ، مجرد الاحاطة بالدراسات الاسلامية والفقهية العميقة ، بل لا بد وعلى نفس المستوى من الاحاطة بالدراسات الفنية والعلمية المعاصرة . ونحن اذ ا نظرنا الى نصوص القرآن والسنة وجدناها محدودة لا سيما في مجال الاحكام الدنيوية ، ثم اذا نظرنا الى هذا البناء الاسلامي الضخم في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، شعرنا بضخامة الجهد الذي بذله وما زال يبذله أئمة المسلمين وأهل العلم منهم للتوصل الى حكم الله فيما يطرح عليهم من اقضية .

وانه مهما تعددت المذاهب واتسع الخلاف بينها ، فهو اختلاف في الفروع والتفاصيل لا في الجوهر والاصول اذ كلها تستمد من معين واحد وهو تعاليم الاسلام ممثلة في القرآن والسنة . ومن هنا كان القول المشهور « تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة » وقولهم بأن « هذا اختلاف عصر وزمان لا حجة وبرهان » ، وهو ما عبر عنه شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : « انه خلاف تنوع لا خلاف تضاد » .

أساليب الباحثين في الإسلام

يمكن رد اساليب الباحثين حالياً في الاسلام الى ثلاثة أساليب :

أسلوب العلماء المقلدين

وهؤلاء يدرسون الاسلام عن طريق المذاهب التي يتبعونها . واذا كان لهؤلاء فضل ابراز هذه المذاهب وتطويرها احياناً تبعاً لتغير الأحوال وظروف البيئة ، فانه يعيبهم انهم يعمدون عادة الى التقليد ملتزمين بآراء الأئمة السابقين في حين ان المناط هو ما عبر عنه ابو حنيفة بقوله : « ما يثبت عن الرسول فاني التزمه واجتهد رأيي ، وما جاءني عن الصحابة وغيرهم فهم رجال ونحن رجال . »

أسلوب المستشرقين الأجانب

وهؤلاء يدرسون الاسلام اما عن طريق احد المفكرين المسلمين كدراسة « هنري لاوست » لابن تيمية و « مكسيم رودينسون » لابن خلدون، أو عن طريق الوقائع التاريخية او عن طريق حال المسلمين اليوم .

واذا كان لهؤلاء فضل ابراز هذه الجوانب الا انه يعيبهم التعميم والحكم على الاسلام من خلال الاساس الذي يتخذونه في دراستهم . في حين أن معيار الحكم على الاسلام ليس هو ما ابداه احد المفكرين المسلمين او تصرفات وتطبيقات حكام المسلمين او بعضهم في مختلف او بعض العصور ، او ما آل اليه المسلمون اليوم ، وانما المناط هو نصوص القرآن والسنة ومدى التزام المسلمين أئمة كانوا ام حكاماً ام شعوباً بتعاليم الاسلام .

أسلوب العلماء المجتهدين

وهؤلاء يعالجون ما يعرض لهم من مسائل اياً كانت اقتصادية او اجتماعية او سياسية بالرجوع مباشرة الى نصوص القرآن والسنة ، ومحاولة معرفة حكم الشرع فيها في حدود ما قضت به الشريعة وبالوسائل التي قررتها على التفصيل السابق تبيانه .

وهذا لا يمنع من الاسترشاد بما أثر عن الخلفاء الراشدين ، وضروب التطبيق السليم لاحكام الاسلام وتعاليمه في مختلف العصور . وبما قرره المجتهدون من أئمة وعلماء الاسلام مع مراعاة اختلاف الزمان والمكان ، وهذا هو الأسلوب السليم الذي نرى التزامه ●

د. محمد شوقي الفنجري ـ الرياض



الأقسى

للشاعر: محمد حمد الصويّغ

أيها الملاحُ أخبِرْني بما
فعلَ الدهر بأرضِ الندماء
ما لهذا الغصنِ يعروه الظما
ولهذا الليلِ اضحى كالهباء

° ° °

يا رفيقَ الدربِ .. ما عيبُ الهوى ؟
ان كسَوْناهُ من الطّهرِ وشَاح
ما طويناه .. ولو عَاش طوى
ما نعاني من افانين الجِراحْ

° ° °

يا لعهدٍ قد حسِبْناه يفيق
حينما الأيام ترْعى ظلّنا
هامَ بالوهمِ وأنساه الرّحيق
أنّ في الوهْمِ ظلاماً وسنى

° ° °

لا تسلْني أي ذنبٍ يا تُرى
قد جنَيْنا .. ولمَ اللوْمُ يطول ؟
كيف أدْري يا نديمي ما جَرى
والخطايا حمْلُها الآنَ ثقيل

° ° °

أفتَدْري أنت ما العُمر يُريد
وهو يجْري في متاهاتِ المَدى
فأجِبْني .. هل بدنياهُ جديد
أم تراهُ مرّ اذ مرّ سُدى

فن القراءة وبناء

لا ريب ان القراءة فن له اصوله ومقوماته وموازينه الدقيقة التي يجب ان تكون في تقدير كل قارىء يتخذ من القراءة وسيلة الى تكوين شخصيته وبناء كيانه الفكري والروحي ، ذلك انه لما كان هدف القراءة التثقيف وتوسيع دائرة المعرفة ، فان هناك مجالاً واسعاً دقيقاً للاختيار .

محاذير كثيرة لأنواع مختلفة من الكتب :

وليس هناك في أية أمة من الامم « اطلاق للقراءة » الا بعد سن معينة وبعد اتمام الدراسات الجامعية والعلمية وتشكل الشخصية تشكلاً جذرياً . والخطر هو في نوع القراءة ، والكتاب اليسير السهل الموجود في طريق القارىء الشاب الطلعة ، سواء في البيوت ام مع الباعة ام في أسواق الكتب التي توجد احياناً على الأرصفة او اسوار الحدائق العامة . فاذا مارس الشباب القراءة دون تقدير لنوع الكتاب وفنه ومؤلفه ، لم يحقق الهدف المنشود وهو بناء الفكر والعقل والوجدان ، وانما يحدث اثراً عكسياً خطيراً . وهنا تقف محاذير كثيرة ويتطلب الأمر تحوطات بالغة حتى يتحقق بناء الأساس الفكري للشباب الذي يستطيع على قاعدته من بعد ان يقرأ كل أنواع الكتب دون خوف ، وذلك بعد أن يكون قد شكل نفسه روحياً وعقلياً من خلال فكر أمته وتراثها وقيمها ، وعرف مدى الأخطار التي تتمثل في عديد من فنون الكتب وخاصة الألوان الرخيصة منها ، واهمها القصص المترجم وكتب الخرافات والسحر وغيرها .

ولذلك فان أهم ما يجب أن يقرأه الشباب في مطالع حياته هو التعرف الى الفنون الاصيلة والعلوم والدراسات ذات الجذور العربية الاسلامية سواء في مجال الأدب او الفكاهة او التسلية .

وعلى البيئة التي تعد الشباب ثقافياً ان توجهه في هذا المجال الى النافع دون الضار ، والى السليم دون المعطوب من الكتب والمؤلفات .

ولما كانت القراءة فناً ، فهي لذلك تختار الأجود والأصح والأكثر فائدة ومنفعة حتى في مجال التسلية وازجاء الفراغ .

ولعلنا لسنا في حاجة الى القول بأن معظم الاضطرابات التي يواجهها بعض الشباب والفتيات في سن المراهقة وما بعدها ترجع الى اضطراب القراءة في مطالع الصبا وسوء التخير في انتقاء الكتب أو القصص . والشباب مولع دائماً في تطلعاته الأولى الى قراءة القصة ، حيث انها النوع الأكثر شيوعاً والمتيسر في الايدي والبيوت والأسواق .

وحيث لا يمكن اجادة الاختيار في هذه الفترة فان علينا ان ننقل الشباب منها نقلاً سريعاً الى فن آخر اكثر أصالة وواقعية واصح توجيهاً وصناعة للفكر وبناء للشخصية ، ذلك هو فن « التراجم وقصص الابطال » وتراجم الاعلام من رجال الأمة ومن أولئك الذين عرفوا بالبطولة وحققوا لامتهم امجاداً خالدة .

هذه النقلة من القصص العامة ، الى قصص الابطال والتراجم نقلة مستحبة وسهلة على نفس الشاب المتطلع الى البطولة المتحفزة الى بناء المثل الأعلى والتماس الشخصيات البارزة قدوة له ومنفذاً إلى تأكيد ذاته وتحقيق وجوده .

وعلينا ان نركز كثيراً في مجال التراجم فانه هو الذي يبني شخصية الشباب ، وجدانهم وعقلهم ويمدهم بالخيال والحقيقة ، ويعطيهم التسلية النقية مع العبرة التي سوف تختزنها النفوس والعقول الى آماد بعيدة .

ومن التراجم ما هي تراجم ذاتية وتراجم غيرية . ولكل منهما أثره واهميته ، ففي الترجمة الذاتية نعايش العظيم وهو يتحدث عن نفسه ويشرح العوامل التي كونته والعقبات التي واجهته وكيف تغلب عليها والآفاق التي ارتادها ، والمواقف الحاسمة التي تعرض لها .

أما في التراجم الغيرية فنحن ازاء دراسة الكتاب لحيوات العظماء وخير ما في تراجم المفكرين ، فكرهم وآراؤهم ، وخير ما في تراجم الأبطال مواقفهم ومواقعهم التي خاضوها .

ومن « التراجم » يمكن الانتقال الى «التاريخ» ، فالتاريخ ايضاً قصة طويلة ، وليس الابطال الا علامات في طريقه ومنارات تبدو من خلال وقائعه ، وتاريخ الأمم هو الذي يلهم ويعطي ويملأ النفس حباً لأوطانها وامتها ويدعم الرابطة بين الشباب وبين ماضيه ، ويكسبه الثقة في أهله واجداده الأقدمين ، خاصة اذا كانوا قد حققوا اعمالاً ضخمة ، وقدموا للانسانية حضارة باهرة وفكراً انسانياً رائعاً ، ما تزال اثاره واضحة في كل علوم الحضارة الحديثة وبناء النهضة العصرية .

والتاريخ مواقع ورجال ، ونصر وهزيمة ، وتقدم وتراجع ، وكلها ذات عبرة واهمية ، في بناء العقول والنفوس . ومن فنون القراءة الهامة ذات الأثر الكبير في بناء الشخصية : ادب الرحلات ، وكتب الرحلات حافلة بالطرافة والفكاهة والعلم والتاريخ ، وهي تشرح الصدر وتنشط الذهن وتحكي احوال المجتمعات والأمم وتضيف الى الثقافة اضافات حية ، وتعطي الشباب عطاء نافعاً ينمي الشخصية ويرقى بها الى مجال الصبر الطويل والكفاح واحتمال المشاق والدراية على الأعمال الكبيرة .

ولا ريب ان القراءة عن الطبيعة والفلك والكواكب وابعاد الأرض والسماء والشمس والقمر والمجرات من أحفل المطالعات فائدة

الشخصية

بقلم: الأستاذ أنور الجندي

وتوسيعاً لآفاق النفس وتزكية للايمان وتعميقاً للصلة بين الانسان والكون وخالق الكون .

هذا عن مادة القراءة فماذا عن « فن القراءة نفسه » :

ان فن القراءة يحتاج الى براعة ودقة حتى لا تضيع الأوقات دون الحصول على ثمرة تزيد النفس قوة والعقل سعة ، ومن هنا كان لا بد من الاهتمام بحسن الاختيار . والانتفاع بالآثار الرصينة سواء في مجال القراءة للتسلية او القراءة للمعرفة . لنقرأ دائماً للثقات من الكتاب ، فالرائد الصادق هو الذي لا يكذب اهله ولا يغشهم ، والكاتب الأمين هو الذي يقدر مسئولية القلم .

ولنسر في قراءاتنا مع الفطرة والطبع ، ونقترب من المزاج النفسي والاجتماعي لامتنا وقيمنا وفكرنا ، ان كل ما يسرنا ويسعدنا ويشرح نفوسنا ويرضي عقولنا وقلوبنا ، هو في الطريق الصحيح وكل ما نحس امامه بالضيق والحرج والتكلف فهو مما لا يتفق مع طبيعتنا .

ولنقرأ دائماً كتب الأصول والمصادر ونهتم بها أكثر من اهتمامنا بكتب الفروع والاضافات ، ونقرأ دائماً كتب العصور الناهضة والأزمنة الزاهية فان عصور الضعف تضفي على مؤلفاتها فكراً مجهداً ورأياً مضطرباً .

ولا نثق بكل كاتب ولا بكل مكتوب ، وانما تنبعث الثقة من الصدق والايمان والغيرة على الأمة وقيمها .

ولنجعل للقراءة هدفاً : هو بناء الشخصية وتحسينها وتعميقها ، واسعادها ، ودفع الألم والخوف والقلق عنها ، وتصحيح مسارها ، وردها عن طريق الخطأ .

ولا بد لكل مثقف قارىء من رسالة ، ولا بد ان تكون القراءة في سبيل دعم هذه الرسالة . لقد شكلت القراءة عمالقة ونوابغ لم يكن لهم حظ كبير في دراسات الجامعات من امثال برنارد شو والعقاد وغيرهما كثر .

ولنحرص على التفرقة بين المصطلحات ، فالثقافة غير التعليم ، والمعرفة غير الثقافة ، والمطالعة غير القراءة ولا نكتفي بما تعلمناه أيام الطلب . فان هذا لم يكن الا توسيداً لبناء يجب ان تقيمه الثقافة ، أما المعرفة فهي العلوم العامة ، ولكن الثقافة هي ما تملكه الامة بطابعها وقيمها ، أما المطالعة العميقة فهي غير القراءة السطحية .

ولنقرأ لأبناء امتنا ولأبناء الأمم الأخرى ، ولنفرق دائماً بين تجربة فكرنا وتجارب الأمم ، فان تجربة فكرنا اقرب الينا ولكن لا غنى عن فهم تجارب الامم ولا نقرأ كتب الخرافات والأساطير والقصص البوليسية ، فانها ان كانت تربي الخيال فانها تخلق في النفس عنصر المبالغة وتدفع القارىء الى الابتعاد عن ارض الواقع وتخلق عالماً وهمياً يفسد الحياة الطبيعية بما يحاول ان يرسمه من احلام كاذبة واوهام خادعة .

إن تراثنا العربي غني وزاخر بكل ما نتطلع اليه من حكمة ، فلكل حكمة كلمة ، ولكل تجربة قصة . في تراثنا قصص النجاح بعد الفشل ، وقصص الايمان بعد الخوف ، وقصص السعادة بعد الشقاء ، وقصص النصر بعد الهزيمة .

ما من تجربة حياة ، ولا موقف ، ولا نقطة لقاء ، ولا مفرق طريق الا وفي الأدب العربي له كلمة . أما القصص البوليسي وروايات الجيب فانها مغرقة في الخيال وبعيدة عن الواقع ، والذين ترجموها قد اساءوا كثيراً واسرفوا ، وهي لا تعطي شيئاً الا ذلك العنصر الزائف الذي يحول دون تقبل الواقع ، أو ممارسة الحياة في صبر واحتمال الصدمات . فلنقرأ روائع آداب الأمم ولا نقرأ الأنواع الهابطة الرديئة ولا تكن في القراءة وجدانياً خالصاً ، ولا عقلانياً خالصاً ، كن على الفطرة الجامعة بين العقل والقلب ، وبين العلم والأدب ، وبين الروح والمادة والتمس غذاء العقل وغذاء القلب ، واجمع بين ثقافة الروح وثقافة الذهن . واستيعاب القراءة اهم من القراءة ، والتأمل والفهم ، والانفتاح على الكون والحياة هما ثمرة هامة للمطالعة .

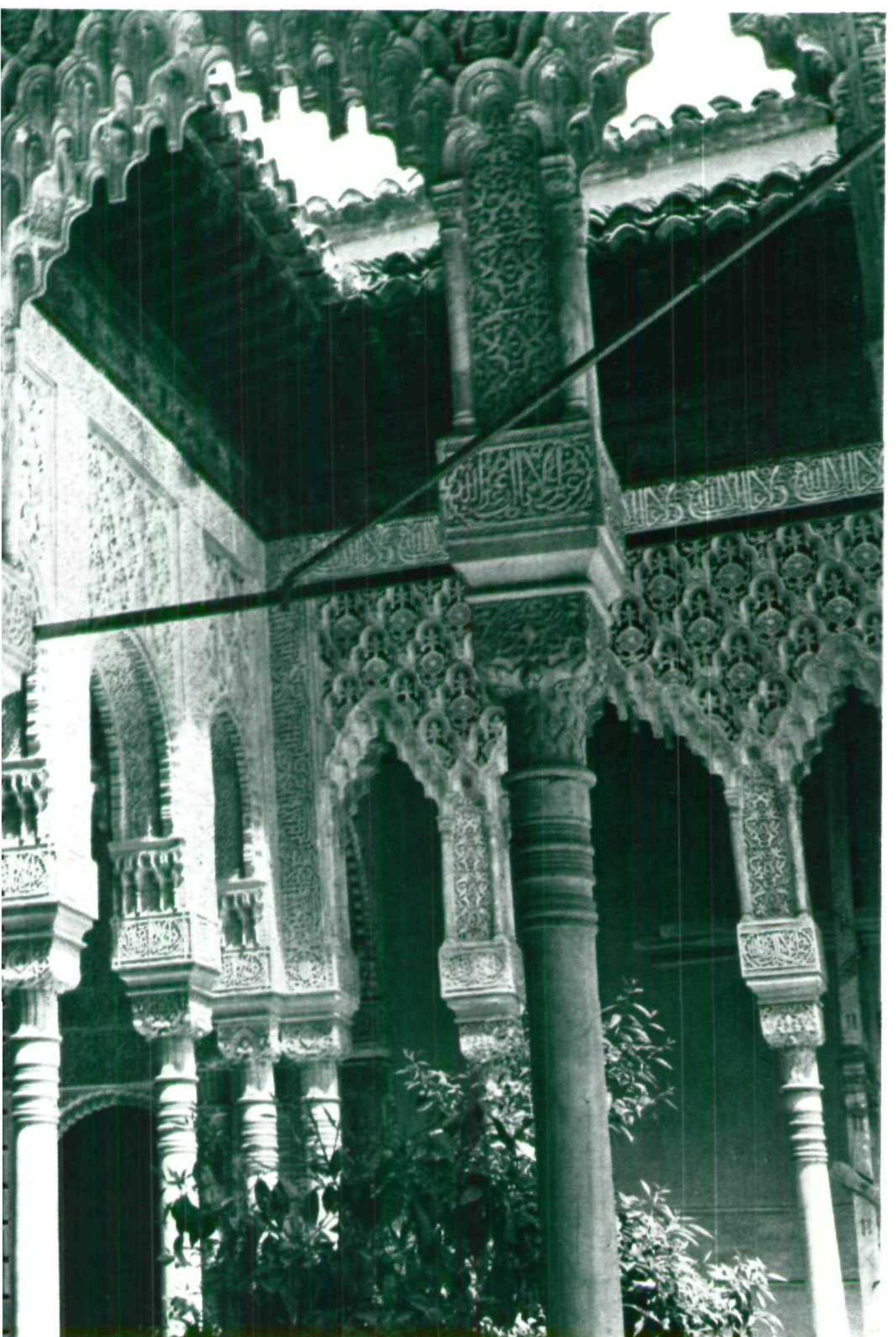
ولنحذر العملة الزائفة في عالم الكتب ، ان اطلاق القراءة دون اختيار وانتقاء يؤدي الى تشتت العقل وفساد الروح ، ويوقع في الازمات والعواصف الهوج بينما الاقتراب من الواقع ، يحقق للشخصية العمق والنمو والمرونة ، فالتاريخ خير من القصة ، والقصة التاريخية خير من القصة الخيالية ، وتراجم الابطال خير من « طرازان » والتراجم الوهمية .

الخيال الجامح من شأنه ان يؤدي الى الاستمتاع الوهمي ، والخروج عن دائرة الواقع من شأنه ان يؤدي الى خلق منطقة هلامية مهومة حالمة يكون لها رد فعل عنيف قد يفسد بناء الشخصية من بعد أو يصيبها بالانفصام . ومن هنا كانت القصة اخطر القراءات .

ولما كانت حتمية القراءة هي : « الاضافة والبناء » ، والارتفاع من البشرية الى الانسانية ، ونشدان المثل الأعلى والتماس الحقيقة ، فقد كان ضرورياً الا تقصر القراءة على فن واحد ، وان لا تغرق في الخيال وان تقترب دائماً من الجذور والقيم مع الاحتراس من الغريب ، والحيطة في تقبل الرأي المخالف للفطرة ، وعلينا ان نجدد مطالعاتنا بين جيل وجيل ، وسن وسن ، حتى نمضي مع حركة الزمن وتطور الحضارة وتجدد الثقافات ●

أنور الجندي ـ القاهرة

أثر الفن الاسلامي في الفن ال



قصر الحمراء ، وهو من المعالم التا

لما امتدت الفتوحات الاسلامية في المشارق والمغارب في القرنين السابع والثامن للميلاد احتك العرب الفاتحون بالحضارات القديمة وبخاصة الفارسية والبيزنطية ، ولم يتردد المسلمون في قبول وتمثل كثير من عناصرها الفنية . ولما استتب الأمر للدولة الأموية في سوريا بنى الخلفاء المساجد والقصور بطريقة اصطفائية جمعت بين الزخرفة الفسيفسائية طبقاً للتقاليد المرعية في الدولة البيزنطية ، كما يظهر في قبة الصخرة ببيت المقدس او في الجامع الأموي بدمشق . وبين الستوق «بياض المصيص» والحلية الزخرفية التي تدل على معاونة فنانين جلبوا من بلاد ما بين النهرين .

ومن المعلوم انه بانتقال مقر الخلافة إلى بغداد بقيام الدولة العباسية تلاشى التأثر بعناصر الفن البيزنطي بينما ترعرع التراث الفني في بلاد فارس والعراق ليصبح الينبوع الأساسي الذي انبثق منه الفن الاسلامي ، ذلك الفن الذي ما لبث ان نما متخذاً سبيله الى النضج والأصالة وانتشر في كافة بلاد العالم الاسلامي الممتد من وسط آسيا شرقاً إلى الأندلس غرباً ثم صارت له خصائص تميز طرازه في كل قطر من الأقطار الاسلامية . ولكن بالرغم من التعدد والتباين في أساليبه فقد اضفى عليها الاسلام طابعاً عاماً جامعاً تتجلى فيه الوحدة والتناسق والانسجام .

ولقد صاحب نمو الفن الاسلامي تعدد اشكاله وعلى رأسها فن العمارة الدينية الممثلة في المساجد والجوامع . وكان من نتائج الفتح العربي في اسبانيا وصقلية وجنوب ايطاليا ان اتصل العالم الغربي بالمجتمع الاسلامي الزاهر وبالحضارة الاسلامية المشرقة ونتج عن هذا الاتصال الذي دام احقاباً طويلة أن تأثر الغرب بالاسلام في كثير من المجالات ومنها الفنون ولا سيما فن العمارة الدينية والمدنية وما تميز به من الزخرفة والنقش . ويلزم ان نشير هنا الى معنى كلمة « أرابسك — Arabesque » الشائعة في اصطلاح أهل الفن ، فهي تدل على ما ابتكره الفن

غربي في العصور الوسطى

بقلم: الدكتور زكي علي



برج « لاخيرالدا » في اشبيلية وقد بدت عليه سمات نمط البناء الاسلامي

تعكس سمات الفن الاسلامي .





وجها مسكوكة من الذهب في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله « القرن العاشر الميلادي»



علبة منقوشة بالعاج يرجح صنعها في قرطبة في اوائل القرن الحادي عشر .

الاسلامي من الزخرف المسطح والناتج من التشابك في نقش الرسوم الهندسية والنباتية التوريقية ، وهو العامل الغالب في هذا الزخرف . وهي تشمل ايضاً عناصر أخرى مثل الأشرطة والدوائر التصويرية وأحياناً رسوم حيوانات .

وليس غرضنا تقصي أثر الفنون الاسلامية التي تبلغ أشكالها بضعة عشر في فنون الغرب لان استيعاب ذلك يستلزم تصنيف كتاب خاص ، وانما نقتصر في هذا المقال على اثر فن العمارة الاسلامية وما يرتبط به من الزخرفة في الفن الاوروبي طوال العصور الوسطى .

ويقول العلامة الفرنسي « مارسيه » وهو من مؤرخي الفن الاسلامي : «يبدو ان الطراز الاسلامي في العمارة امتد الى مناطق كان رهبان كلوني و سيتو في القرون السالفة قد عملوا فيها على دعم الطراز الغوطي . فلما جرى الاحتكاك بالحضارة العربية الأندلسية امتزج فن الاسلام المعماري بالعناصر الفرنسية للطراز الغوطي ثم بالنماذج الايطالية لفن عصر النهضة . فأضفى هذا الاندماج على الفن الأوروبي في هذه العصور طابعاً انفردت به » .

ويقول مؤرخا الفن « جوميز مورينو » و « ايلي لامبرت » : « إن الفن العربي الأندلسي تكون اولاً في الأندلس وبلغ الذروة في القرن العاشر في المسجد الجامع في قرطبة وفي قونقة . وهو فن فاخر باهر مصفى الزخرفة كما انه ايضاً فن مدنيّ بلغ الكمال الفني الرائع ، وعني اعظم عناية بالزخرفة في «موتيفات» متكررة الى اقصى حد على المنسوجات والعاج والخزف والمواد المصنوعة من البرونز بشكل حيوانات مأخوذة نماذجها من الطراز الفارسي في شكل الفارس وأشكال حيوانات منقوشة على المسكوكات وأشكال نباتية » .

ويؤكد مؤرخ الفن الفرنسي « لويس جروديكي » انه لما وطد العرب ملكهم في اسبانيا منذ القرن الثامن ، وفي صقلية منذ القرن التاسع واستولوا على روما عام ٨٤٦ وعلى جنوب ايطاليا في النصف الأول من القرن العاشر ، نتج عن ذلك ان الفن الاسلامي كان احد اسس

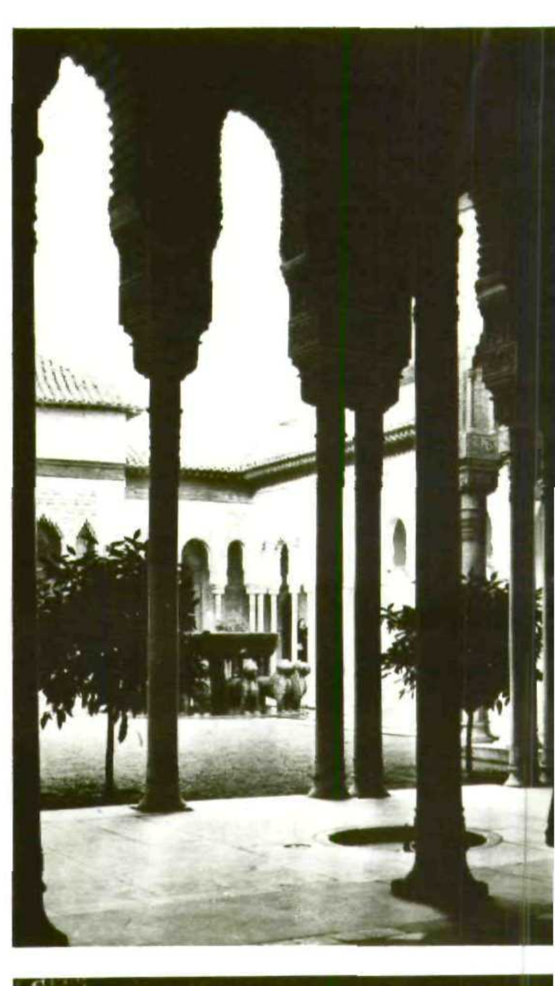
الفن الاوروبي الذي عرف باسم الفن «الرومانسكي» . ثم في موضع آخر يشير إلى أنه بالرغم من «حروب الاسترداد» التي شنها ملوك اسبانيا والتي انتهت بخروج العرب من الأندلس بقيت فئات من مهرة الصناع العرب تعيش

في الولايات المسيحية وهم الذين يطلق عليهم اسم « المدجّنين » وعلى ايديهم انبثق الطراز المدجني وعنهم اخذ الفنانون الاسبان اصول العمارة الاسلامية وزخارفها .

والحق ان اعظم تأثير معماري للاسلام تجلى في عصر يعتبر من أهم عصور الفن الأوروبي في العصور الوسطى وهو عصر الفن الرومانسكي . ولا غرابة ايضاً في تأثير الفن الاسلامي في الفن البيزنطي اذ من المعلوم ان اخر امبراطور بيزنطي حارب عبادة صور القديسين وغيرها من التصاوير الكنسية في القرن التاسع الميلادي وهو «تيوفيلوس» ارسل سفيراً الى بغداد ليدرس في غضون اقامته بها فن العمارة الاسلامية وعادات المسلمين وانه في عام ٨٣٥ أمر ببناء قصر له على أبواب القسطنطينية مشابه لقصور الخليفة العباسي في بغداد ، وفضلاً عن ذلك فان حلل البلاط البيزنطي كانت تجدد بحرير عباسي ، كما كانت الحدائق البيزنطية تخطط على النمط الاسلامي . وقد اندثرت جميع العمائر الفنية التي شيدت لهذا الامبراطور ولم يبق منها سوى « دير قسطنطين » الذي يوجد به افريز يمثل رسم نسور باسطة اجنحتها . وقد عمل هذا الرسم على أساس نماذج اسلامية . ومما يدل على مدى تأثير الفن الاسلامي ظهور الحلية على غرار الكتابة الكوفية على جدران بعض المعابد اليونانية مثل معبد الحواريين ومعبد « آجيو تيودور » في أثينا وعلى حافة نوافذ معبد مدينة دافني وعلى عدد من الآثار الحجرية او المرمرية المصنوعة تقليداً للنماذج الاسلامية والموجودة في المتحف البيزنطي في اثينا . ثم ان الحروف الكوفية اقتبست كحلية تزدان بها مخطوطات بيزنطية ومن أشهر أمثلة ذلك كتاب « المواعظ الدينية » وهو مخطوط القديس يوحنا « كريزوستوم » الذي امر بتصنيفه في القرن الحادي عشر الامبراطور « نسفورس بوتنيات » وعنوان هذا المصنف مكتوب بكتابة كوفية . ولا يوجد ادنى شك في وجود منسوجات حريرية بيزنطية عليها رسم يمثل السبع ويظهر فيها النمط الاسلامي ، وكان يوجد منها نموذج فريد في مدينة « سجبورج » بالمانيا الغربية من عهد الامبراطورين « رومانوس » و « كريستوفر » في القرن العاشر يظهر فيه النقش الكوفي مع الرسوم الهندسية المسطحة على حرير مستورد من الشرق الاسلامي طبقاً للطراز الشائع عند امراء المسلمين في ذلك العهد . وقد عثر في



جانب من حي سكني في مدينة اشبيلية باسبانيا وقد غلب على بعض مبانيه طابع العمارة الاسلامية .





منظر لبستان البرتقال في اشبيلية تحيط به بعض المباني الاثرية التي تعكس سمة العمارة الاسلامية .

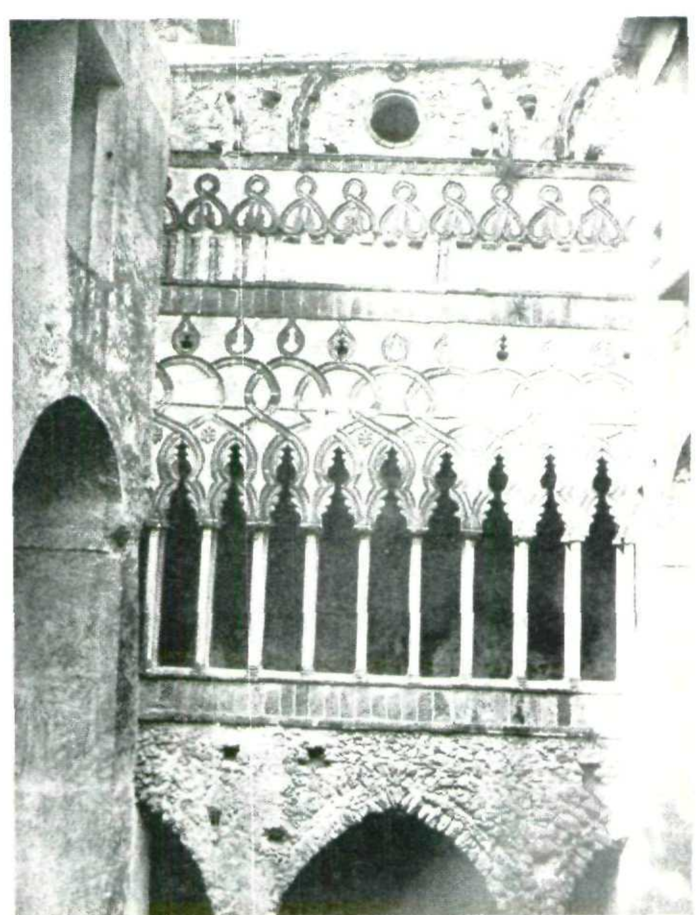


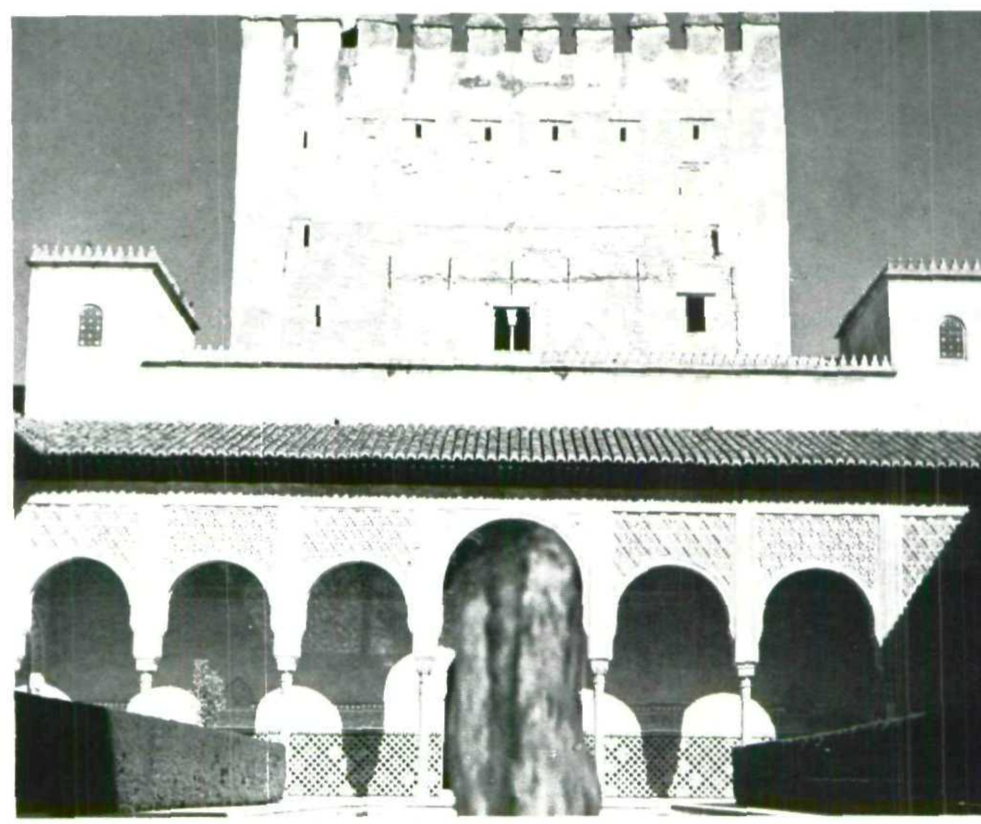
ساحة الاسود في غرناطة باسبانيا حيث تبدو معالم العمارة الاسلامية واضحة جلية .

قبر الامبراطور « شارلمان » المتوفى عام ٨١٤م في « آخن » بالمانيا على نسيج من الحرير عليه رسم الفيل يدل بصنعه وموضوعه وبرسم اوراق الشجر خلف الفيل انه نقل عن الطراز الفارسي البويهي . ثم من المدهش ايضاً وجود لوحة صغيرة من صندوق عاجي منقوش في مدينة « دارمشتاد » بالمانيا تمثل رسم امرأة جالسة تعزف على العود وقد صنعت تقليداً تماماً لمثيلتها على مسكوكتين احداهما من عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله والثانية من عهد الخليفة الطائع لله والتحفة المذكورة محفوظة بالمتحف القومي في « دارمشتاد » .

أما في صقلية فمما لا شك فيه انه حين وصل اليها الملوك النورمانديون في القرن الحادي عشر كانت الحضارة الاسلامية مزدهرة في هذه الجزيرة . ولم يلبث هؤلاء الملوك ان اتخذوا العادات والتقاليد الاسلامية فكان الملك « روجر » الثاني يتزيا بزي المسلمين ، كما ان حلته التي يرجع صنعها الى عام ١١٣٣ طرزت في خزانة الملك في « بالرمو » عاصمة صقلية . ويتضح من زخارفها العربية الجميلة انها من صنع المسلمين . ويقول الرحالة ابن جبير الذي زار صقلية في عهد « غليام » الثاني انه راى نساء النصارى في بالرمو يرتدين زي المسلمات ، كما رأى أحد الصناع المسلمين في مصنع الطراز في بالرمو يشتغل بترصيع الملابس بالخيوط الذهبية . وقد غلب الطابع العربي في الفن على كثير من الكنائس والأديرة والصروح في صقلية . ومن أشهر الأمثلة لذلك كاتدرائية « مونريالة » والدير الملحق بها في بالرمو « من القرن الثاني عشر » وكنيسة « يوحنا » الناسك ، وكنيسة القديس « كتالدو » وكاتدرائية « كفالو » .

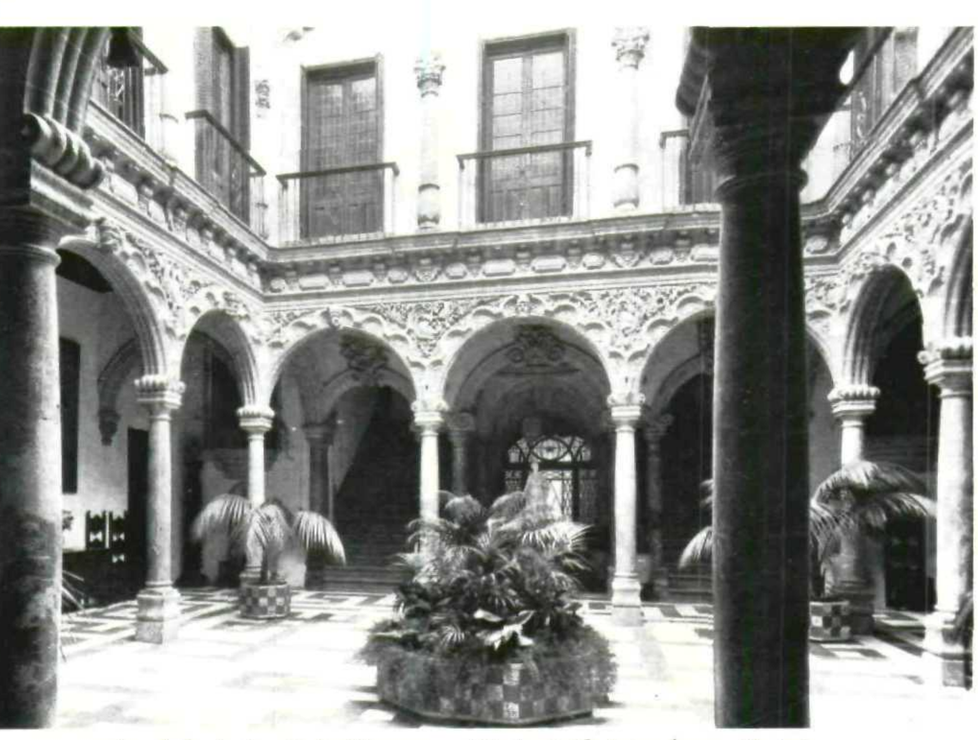
ولا غرابة ان نجد مثل هذا الأثر العميق للفن الاسلامي في جنوب ايطاليا ففي كنيسة « سانتا ماريا دى نزيني » في ولاية « كالابريا » توجد لوحة عليها رسم يمثل طيوراً في دوائر متشابكة وعليها كتابة كوفية نقلت من نماذج انسجة اسلامية من العصر العباسي او الفاطمي . ثم ان التأثير الاسلامي ظاهر في عمائر « مونته سانت أنجيلو » في ولاية فوجيا الايطالية ، وفي عقود القبة وزخارفها في كنيسة « سان ليوناردو دى سبونتو » (من القرن الحادي عشر) في مدينة « ترويا » وعلى نقش الأبواب البرونزية لقبر « بهوموند » في بلدة « كانوزا » وعلى نوافذ الكنيسة في مدينة « التامورا » ، وفي مدخل كاتدرائية


جانب من رواق من قصر روفالو بمدينة رافلو بايطاليا وقد بني على النمط الاسلامي


ساحة الشهداء في قصر الحمراء باسبانيا ، نموذج لفن العمارة الاسلامية ابان عهدهم في الاندلس .

« لتشيه » . وعدا ذلك يوجد في مدينة « كابوا » في كنيسة القديس يوحنا افريز من الرخام المنقوش عليه رسم يمثل سباعاً متقابلة تقليداً لرسم على حلة كهنوتية في كنيسة « سانت مسمه » في مدينة « شينون » بفرنسا نسجت في صقلية او في الأندلس في القرن الحادي عشر . ثم ان الطراز العربي الصقلي ظاهر في كافة ارجاء منطقة « كامباني » من ولاية « سالرنو » بايطاليا وبخاصة في مدينة « أمالفي » حيث تتسم واجهة كاتدرائيتها بالطابع الفني العربي وابراجها الصغيرة بالزخرفة الاسلامية . بينما في مدينة « رافلو » ما يزال يوجد بها قصر « روفالو الاثري » الذي شيد في القرن الثالث عشر بأسلوب المعمار الاسلامي . أما في مدينة « أمبون » فقد بنيت كنيستها في القرن الثاني عشر باسلوب جمع بين الرسوم الهندسية والزخرفة العربية الطابع .

وقد امتد تأثير الفن الاسلامي في ايطاليا الى ولاية « توسكانا » حيث نجد في مدينة « بيزا »



احد القصور في مدينة كادز باسبانيا وهو من الابنية التي تتجلى فيها سمات الفن المعماري الاسلامي وهو قائم على عدد من الاعمدة المنقوشة .

الشهيرة ببرجها المائل مجموعة منشآت من فرائد الفن المعماري الرائع في العالم الا وهي المسماة « مرج المعجزات » الذي يضم كاتدرائيتها والبرج المائل . أما كاتدرائيتها فقد شيدها المهندس المعماري الايطالي الشهير « بوسكيتو » مقتبساً في انشائها قواعد الفن الاسلامي الاصيل كما يتجلى ذلك في شكل القبة وانشائها قائمة من الداخل على عقود شاهقة الارتفاع ومدببة متقاربة . ثم أكثر من ذلك وصول تأثير الفن الاسلامي الى ولاية « بيدمونت » في شمال ايطاليا اذ بنيت قبة الكنيسة الكبرى في مدينة « كازاله مونفراته » في القرن الثالث عشر على نسق قبة المحراب في جامع قرطبة الذي يرجع تاريخ بنائه إلى القرن العاشر . ولقد أشرنا من قبل إلى التأثير العميق للفن الاسلامي الأندلسي على الفن الاسباني ، فانه استمر ظاهراً في كثير من الصروح الاسبانية الى القرن السادس عشر اي حتى بعد خروج العرب من الأندلس بزمان طويل . وكان الأساس في نشوء اول طراز غربي عظيم في الفن في العصور الوسطى وهو الفن « الرومانسكي » باعتماد الفنانين الاوروبيين على اصول الفن الاسلامي في محاولتهم ابتكار هذا النمط من الفن الذي امتد خارج اسبانيا الى فرنسا والمانيا وسويسرا وانجلترا وغيرها في الغرب . ولا يمكن في هذا المقام استيفاء اثر الفن الاسلامي في بناء العديد من المعابد والأبراج والقصور وغيرها من العمائر في اسبانيا وانما نجتزئ على سبيل المثال بذكر اروع اثر للفن الرومانسكي الاسباني وهو كاتدرائية « شنت ياقب » الشهيرة التي بدىء بناؤها في القرن الحادي عشر في مدينة « سلنتيا جودي كومبوستلا » في شمال اسبانيا . كما نشير الى الطراز المدجني الظاهر في كنيسة مدينة « سهاجون » في ولاية ليون الاسبانية ، فقد بني جانبها الشرقي وبرجها الضخم باسلوب العمارة العربي ، ثم الى كنيسة القديس بطرس في جهة « استلا » بولاية « نافارا » الاسبانية ويرى اثر الفن الاسلامي في بوابتها ذات العقد المؤطر والزخرفة العربية .

اما في فرنسا فان من اعظم الآثار الدالة على عمق النفوذ الاسلامي في الفن المعماري كنيسة القديس « ميشيل دجوى » في « لوبوي » بجنوب فرنسا التي تأثرت كثيراً في الزخرفة الخارجية لجدرانها وفي بناء ونقش مدخلها بالطابع العربي الخالص ، ويلاحظ نفس الأثر الاسلامي العميق في كنيسة « المادلين » الفخمة في مدينة « فزلاي » ، ويرجع تاريخ بنائها الى القرن الثاني عشر وهي من أجمل الآثار الرومانسكية في فرنسا .



لوح اثري من الرخام المنحوت والمنقوش بزخرف نباتي باسلوب اسلامي في سرقسطة باسبانيا يرجع تاريخه الى القرن العاشر وقد اقتدى به الفنانون الاسبان فيما بعد لبناء القصور الملكية .

ولقد لعبت المنسوجات دوراً مهماً في نشر « الموتيفات » الاسلامية في الفن المعماري الرومانسكي ، فمثلاً نجد أن نقش الفيل الظاهر على تاج العقد في كنيسة القديس « يوحنا دى مونتنيف » في مدينة « بواتييه » في فرنسا الوسطى ويرجع تاريخه إلى القرن الحادي عشر وقد صنع نقلاً عن نماذج اسلامية على منسوجات حريرية فارسية من خراسان من النصف الثاني من القرن العاشر . ثم ان احد المخلفات المسيحية المسمى خمار القديسة آن والموجود في كاتدرائية مدينة آبت في مقاطعة « فوكلوز » بفرنسا هو في الحقيقة نسيج من الحرير المموه بالذهب عليه كتابة تشير الى الخليفة المستعلي . والى ان النسيج صنع في دمياط بمصر حوالي عام ١٠٩٦ للميلاد . وفضلاً عن ذلك يرى على جدار في كاتدرائية مدينة « كلرمونت فراند » بفرنسا دهان يرجع تاريخه الى عام ١٢٠٠ يمثل نسوراً يقبض كل منها ببراثنه على عنق تيتل . وقد تبين للباحثين انه صنع على نسق رسم على قطعة حرير موجودة في خزانة الذخائر في مدينة «سيجبورج» بالمانيا ، وهي قطعة كانت من صنع عربي اندلسي .

ومنذ القرن الحادي عشر استعمل الفنانون الاوروبيون بكثرة الخط الكوفي الملون والحلية المستمدة من الكتابة الكوفية في المخطوطات واللوحات المصورة . ومن أروع الأمثلة لذلك صفحة من مخطوطة اوروبية موضحة برسوم قام بعملها « اديمار دى شابان » في النصف الأول من القرن الحادي عشر وهي محفوظة في مكتبة جامعة ليدن بهولندا .

وتوجد ايضاً مخطوطة اوروبية بها عدة شرائط زخرفية اساسها الخط الكوفي وهي سفر الرؤيا المكتوب في اواسط القرن الحادي عشر . وهناك سلسلة من المخطوطات في مقصورة تابعة لكنيسة مدينة « فجياك » من القرن الحادي عشر يظهر فيها الخط الكوفي والزخرفة الاسلامية. ومن الطريف ان مدينة « فجياك » هذه موطن عالم الآثار الفرنسي الشهير « شامبوليون » الذي كان اول من فك الكتابة الهيروغليفية بعد العثور على حجر رشيد في مصر في زمن الحملة الفرنسية . ويجدر التنويه بشروح « بياتوس » على « سفر الرؤيا » التي كتبت في مدينة « سانت سيفر » الفرنسية ، فقد زينت بزخارف اسلامية مصدرها من الشرق من عصر بني



بويه وبرسوم عربية من العصر الاندلسي في الغرب . وتقول موسوعة «لاروس» الكبرى : « ان كنيسة سانت سيفر الرومانسيكية الطراز تقدم مثالا نموذجياً لتأثير الفن الاسلامي الظاهر في تيجان اعمدتها » .

اما في انجلترا فمن المحقق ان فنانين من الانجليز حجوا في القرن الثاني عشر من غرب انجلترا الى مدينة « شلنت ياقب » في شمال غربي اسبانيا التي سبق ذكرها ، وهناك نقلوا رسوماً لخطط اشهر الكنائس الاسبانية التي تتسم بالطابع العربي الاندلسي ثم استخدموها بعد ذلك في انشاء عدد من المباني في عدة مدن انجليزية في غرب انجلترا . ويوجد في « كنلورث » ، وهي مدينة انجليزية تقع جنوب شرقي برمنجهام ، بوابة يرجع تاريخها الى حوالي عام ١١٥٠ تدل على ان المعمار الذي بناها قد زار اسبانيا ، لانه اقتبس في البناء بعض سمات الفن الاسلامي ، وهي العقد المؤطر داخل مستطيل مع زخرفة بأنافيش وحلية نباتية .

ومن اغرب الأمثلة التي تري امتداد اثر الفن الاسلامي الى شمال اوروبا صندوق فضي موجود في خزانة كنيسة « سانت مارك » الشهيرة في مدينة البندقية « فينسيا » على جوانبه زخرفة هندسية ونباتية توريقية ونقوش ورسوم حيوانية الى جانب الحلية النباتية من صنع فنان اسكندنافي يرجح مؤرخو الفن انه من بلاد النرويج . اما معرفة كيف وصل هذا النموذج المنقول من اصل اسلامي عليه كتابة كوفية فلا تزال امراً غامضاً وانما يفترض الباحثون أن احد الجنود من اهل شمالي اوروبا ممن اشتركوا في الحروب الصليبية كان قد حصل على علبة اسلامية اثناء اسفاره في الشرق وأحضرها الى بلاده حيث قام فنان نرويجي بصنع صندوق يحاكيها . اما كيف وجد هذا الصندوق فيما بعد طريقه الى خزانة كنيسة « سانت مارك » فهو أمر مجهول .

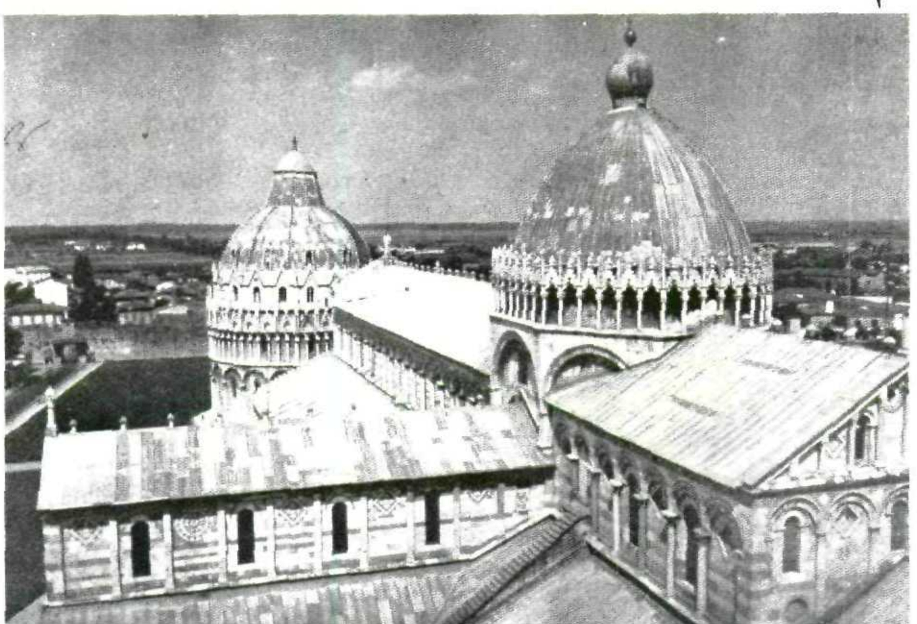
اما في فن النحت فان افخم مثال لاندماج طراز الفن الاسلامي وطراز الفن الغربي في اواخر العصور الوسطى يوجد في كنيسة القديس بطرس في مدينة « مواسال » في جنوب غربي فرنسا ، ويرجع الى القرن الثاني عشر ، وتعتبر واجـ المقص » بهذه الكنيسة تحفة فنية يتجلى فيها تأثير الفن الاسلامي في الفن الرومانسكي تأثيراً عظيماً . وقد استمر تأثير الاسلام في الفن الفرنسي والفن الانجليزي الى آخر القرن الثالث عشر ، وفي الفن الاسباني كما ذكرنا الى القرن السادس عشر . اما في الفن الايطالي فإلى أواخر القرن الرابع عشر ●

د . زكي علي – جنيف

٢



٣



١ – احد الشوارع الأثرية في مدينة باسبانيا والذي يعكس اسلوب العمارة الاسلامية .

٢ – احد الفنادق المشهورة باسبانيا وقد تجلى فيه ملامح العمارة الاسلامية .

٣ – قبة الكاتدرائية بمدينة « بيزا » بايطاليا ويرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر ، ويتجلى في هـذه التحفة الفنية اثر العمارة الاسلامية في بنائها .

مِنْ حصاد الكتب

تصوير الجزيرة العربيّة

في ديوان «على ربى اليمامة»

بقلم: الأستاذ عبدالله بن خميس

عرض: الدكتور حسن فتح الباب

أصدر الشاعر الاستاذ عبدالله بن خميس في الاوان الأخير ديوانه الاول « على ربى اليمامة » ، وقد تضمن نحو ستين قصيدة صنفها الشاعر من حيث أغراضها في عشر مجموعات هي : الاسلاميات والوطنيات ، والفلسطينيات ، والذكريات ، وشعر الطبيعة ، والوجدانيات أو عبث الصبا ، والاخوانيات ، والمداعبات ، والمراثي . وذيّلها بمجموعة أطلق عليها اسم « متفرقات » ، وهي تشمل ما قصرت سائر المجموعات عن استيعابه من الأغراض التي تناولها الشاعر ، مثل التأملات الفلسفية او الحكمة كما يطلق عليها في المصطلح الشعري المأثور ، ومثل الشكوى من صروف الايام والليالي ، والنقد الاجتماعي ، والفخر ، وتأملات في بعض الأحداث الاجتماعية ومظاهر الاصلاح مثل تعليم المرأة واراء في رسالة الأدب والفن وقضاياهما .

ومن ثم يتبين ان الشاعر رحب الأفق متعدد الأوتار التي يعزف عليها ، متنوع النغمات ، فقد طرق جل الموضوعات التي تناولها الشعراء قديمها وطريفها . وكان حفياً بالأغراض الاجتماعية والوطنية ، ولعل اشتغاله بالصحافة حيناً من الدهر كان من وراء هذا القصد . فقد شغلت قصائده في الاسلام والوطن وفلسطين مائة وتسع صفحات من الديوان الذي بلغت جملته ٢٤٠ صفحة اي ما يقرب من نصفه . والواقع ان المساحة التي يشغلها الشعر القومي الاسلامي أكبر من هذا القدر بكثير . ذلك ان قصائد الديوان المصنفة في هذا الغرض لا تنفرد بذلك المضمون ، اذ نراه يتخلل الكثرة الغالبة من القصائد التي تتناول الموضوعات الأخرى ، مما يدل على ان العروبة والاسلام هما محور رؤيته الفنية والفكرية .

واذا كان هذا الشعر القومي يتناول فيما يتناول أمجاد الجزيرة العربية بوصفها مهد العروبة ، ومهبط الدعوة الاسلامية ، ومشرق اعظم حضارة انسانية قامت على القيم الفاضلة والمثل الرشيدة في تاريخ البشرية ، وما زالت قادرة على هداية الانسان في كل مكان وكل زمان الى طريق الخير والحق والعدل والرحمة ، اذا كان شعر عبدالله بن خميس يتناول جزيرة العرب من هذا الجانب ، فانه يتخذ منها ايضاً مصدراً لتصوير الطبيعة الحية والصامتة تصويراً يتفوق فيه الى غاية بعيدة . فهو شاعر مصور بمعنى الكلمة حتى تبدو قصائده في هذا الغرض كأنها لوحات ابدعتها ريشة رسام بارع يتقن التعبير بالألوان والظلال ويمزج بينهما مزج صناع مقتدر ، ويحسن توزيع المساحات والفراغات منطلقاً من احساس مرهف وخبرة مكتسبة وحب جياش للطبيعة في الجزيرة العربية ، جبالها ونجودها وتلالها وأغوارها وغياضها وكثبانها ورمالها وحصبائها ، ورياحها ونسيمها وسمائها في صحوها وغمامها ، وبيدها في جفافها وغيوثها ، وواحاتها وينابيعها وبساتينها .

يعد ديوان « على ربى اليمامة » الذي بين أيدينا مرآة للجزيرة العربية لا يعكس ملامحها الخارجية فقط ولكنه يعكس جوهرها ايضاً . اما ملامحها فهي تتمثل في مجاليها او مشاهدها المنظورة والمسموعة ولا تقتصر على تضاريسها او جغرافيتها من حيث اعلامها ومواقعها وغير ذلك من العناصر . واما جوهرها فاننا نعني به روحها المتمثل في تاريخها وهو حصيلة البيئة والانسان ، ونعني به ابناء الأمة العربية التي اعاد صياغتها النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بما انزل الله عليه من شريعته الغراء ، فكانت خير أمة اخرجت للناس . فشاعرنا اذ يتناول في قصائده الملامح الروحية والانسانية للجزيرة العربية يستلهم ماضيها التليد وتراثها العريق وما اطلعته من دين الحق على العالم كله ، وما اطلعه هذا الدين من خلفاء وعلماء وفقهاء ومصلحين وشعراء ارسوا على هدى الاسلام حضارة مثالية استهدت بها اوروبا وهي في عصور ظلماتها في القرون الوسطى ، فاستبدلت بتلك الظلمات انوار الفكر الثاقب والمنطق القويم التي اقتبستها من المشاعل التي حملها المسلمون الأوائل في زحفهم في كل اتجاه من المعمورة لنشر رسالتهم السماوية . وبث قيمهم ومثلهم السديدة ، واقامة العدل والاحسان ، والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي ، وتوطيد اركان السلام في الأرض .

وهو يعبر في « النشيد الوطني » تعبيراً قوياً عن هذا الدور التاريخي الذي اضطلع به العرب في الجزيرة بعد اشراق شمس الاسلام بقوله :

سام هام النجم يا شعب الجزيره
واكتب التاريخ افوافا منيره
واتخذ من سنة الاجداد سيره

وتقدم من صعود في صعود

أخذ الاقوام فضل الحمد عنا
وسمونا للمعالي منذ كنا
والاساطين الذرى فينا ومنا

فاقتبس ما شئت من سفر الخلود
قد هدانا منزل القرآن حكمه

ودعانـا – مذ دعانـا – خـير أمـه

وحبانـا صفـوة الاكــوان رحمــه

فــي ظـلال الشرع والبيت المشيـد

ويبدو من هذه الأبيات ان المعنى الذي يجعله الشاعر محوراً لنشيده هو الحقيقة التاريخية القائمة على انه لولا الاسلام لما كانت الأمة العربية ذات التراث العظيم في تاريخ الامم والحضارات ، وذلك كما يبين من قوله تعالى : « **واذكروا اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً** » ، فهذه الوحدة التي وثقها الحق سبحانه هي سر نشأة هذه الأمة ومصدر قوتها ، ومن ثم تدور معها تلك القوة وجوداً وعدما .

ذلك هو مضمون الجانب الموضوعي من غناء الشاعر لبلاده : ان هذه البلاد – جزيرة العرب – هي الأرض المقدسة التي اختارها الله مهبطاً لرسالته ومهداً لحاملها فكانت بذلك منارة الاشعاع في العالم وكعبة الهدى ونبع الفضيلة وصلة الأرض بالسماء . وهو يردد هذا المضمون بحيث يصبح عنده بمثابة اللحن الاساسي الذي تتفرع منه الأنغام الاخرى في القصيدة . فيصور في قصيدته « هذه الجزيرة » تلك الروح الاصيلة التي اشربتها جزيرة العرب في ظل الاسلام . فمن قبله كانت صحراء تكاد تحيلها منازعات القبائل الثأرية إلى ساحة دموية لصراع لا بداية ولا نهاية له . وكانت جبّا لا قرار له يختلط فيه الكرم بالسفاهة ، والشجاعة بالحمق والتهور ، والدفاع عن النفس بالعدوان ، وخوف العار بوأد البنات ، والشعر البليغ بتفشي الجهل والحرية بالفوضى . فلما كان الاسلام لم يعن جبين لغير الله ، ورفرفت اعلام التوحيد ، وتعالى نداء الله أكبر ، فكان النصر بعد النصر « **ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم** » .

يقول الشاعر في هذه القصيدة شادياً بماضي الجزيرة في عصر المسلمين الأوائل ، مقارناً بين وهدتها في الجاهلية ونهضتها في الاسلام ، تلك النهضة التي ارست دعائم الحرية والاخاء والعدالة قبل ان يعرفها العالم الحديث ويتشدق بها بعشرات القرون ، مشيراً إلى الجهود التي تبذل اليوم لاحياء ذلك الماضي الزاهر عن طريق اتخاذ القدوة الحسنة من رواده :

نسجت بين أهلها حيث كانـوا ... آصــرات دعـا اليها الرسول

جمعت بين « هاشم » « وصهيب » ... لا فـروع تحوكهـا او اصول

فهي مـا شئت خلـة وولاء ... وهي للمعتفين ظـل ظليـل

وهـي حب لمـن أراد التآخـي ... وسهام للمعتـدي ونصـول

واخـاء مـا بين بحر وبحـر ... بينهـا البيـد والربـى والسهول

ولا غرو – والجزيرة مهد الدعوة الاسلامية – ان يراها الشاعر معقد فخار العروبة وكنز محامدها وزينتها وأسس بنائها ، فمنها انتشر الدين الحنيف في ارجاء العالم واليها ينمى المجد كل المجد . وفي ذلك يقول عبدالله بن خميس من قصيدته « سلمت يدا شعب الجزيرة » التي انشدها بمناسبة افتتاح المعرض الفني لصالح لجنة رعاية اسر مجاهدي وشهداء فلسطين بالرياض في الثامن من المحرم ١٣٨٩ :

سلمت يدا شعب العروبة انــه ... اولى العروبـة بالتجلـة والرضا

لما اهـاب بسوحه صـوت الفـدا ... اعطى وجـاهد واستجاب واقرضا

قامت طلائعـه تجوب رحابـه ... مستنفراً مـا شئت او مستنهضا

فتجاوبت زأراتـه مستأسدا ... وتدفقت نفحاتــه متعرضـا

فاذا تجاوزنا تلك الدائرة العامة وهي الجزيرة العربية الى الدائرة الخاصة التي جعل منها الشاعر القطب الذي تدور حوله اشعاره ، تمثلت حيالنا منطقة اليمامة ، فهي أكثر مواطن الجزيرة تردداً في قصائده مما يدل على شدة وجده بها ونزوعه اليها وايثاره لها على غيرها من البقاع . ولذلك نراه يتخذ من اسمها عنواناً لديوانه فيسميه (على ربى اليمامة) ، ويعد اشعاره فيها « اصداء من قلب جزيرة العرب » فهي مهوى فؤاده وسكن روحه ، ومهبط إلهامه ، وهي عنده قلب الجزيرة العربية . ولا غرو ان يكون ذلك موقع اليمامة في نفس عبدالله بن خميس ، فهو من أبنائها شأنه في ذلك شأن شاعريها المرموقين : ميمون بن قيس الاعشى الملقب بصناجة العرب ، لما تميزت به قصائده من حسن جرسها وعذوبة نغمها ، وجرير شاعر العصر الأموي المشهور .

ومن فرط ما شغفت اليمامة قلب ابن خميس حباً ، نجد قصائده فيها تكاد تحمل عبير شعر الغزل والتشبيب ، فهو يمحضها حبه وولاءه ووفاءه خالصاً لا تشوبه شائبة . ويغنيها قوافيه حراراً في فرحه لفرحتها او شجوه لشجوها ، ويستلهمها اعذب انغامه وأرقها وأعمقها . وله فيها أبيات سوائر تذكرنا بتلك الشوارد التي لا تنسى في شعرنا العربي في حب الوطن والحنين اليه . تلك الشوارد التي طالما رددنا منها :

احب بلاد الله مـا بـين منعج ... الى وسلمى ان يصوب سحابها

بلاد بهـا نيطت علي تمائمي ... وأول ارض مس جلـدي ترابها

وتغنينا بأبيات ابن الرومي في محبة الأوطان :

ولي وطـن آليت الا أبيعــه ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا

وحبب اوطـان الرجال اليهمـو ... مآرب قضاهـا الشباب هنالكا

اذا ذكروا اوطانهـم ذكرتهمـو ... عهـود الصبا فيها فحنوا لذلكا

فقد الفتـه النفس حـتى كأنـه ... لهـا جسد ان بـان غودر هالكا

واذا كان الشاعر الاعرابي القديم يقول في تلك الرقعة من الأرض التي علّقها فؤاده فسارت انفاسها فيه مسرى الروح في الدم وان لم تكن ذات رونق وجمال ، ولكنه الوفاء المحض لا يزيده منه حسن ولا ينقص منه ضده :

وكنا الفناهـا ولم تك مألفـا

وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن

كما تؤلف الارض التي لم يطب بها

هـواء ولا مـاء ولكنهـا وطـن

واليمامة ارض يطيب فيها الهواء ويطيب الماء ، وهي وطن الشاعر ، ومن ثم يقف خلف هيامه عشقاً بها دافعان : الحنين للمنبت ، والانبهار بتاريخها التليد . وقد وقف عليها خلاصة مواهبه كمؤرخ وجغرافي وعالم في اللغة ، فأثرى المكتبة العربية بمصنفه القيم عنها « المجاز بين اليمامة والحجاز » وهو ثروة تختزن رصيداً من علوم العرب وأيامهم واخبارهم وانسابهم في تلك المنطقة ، عني ببحثه وتحقيقه ودراسته لا كما جاء في بطون الكتب فحسب ، وانما كما تجسمت آثاره ومعالمه في الطبيعة ، فشاعرنا رحالة ما آب من بلد الى بلد الا في سبيل تطبيق ما اجتمع لديه من معلومات على الواقع .

وقد امدت هذه « الخلفية التاريخية » الشاعر بزاد غير قليل من الرؤى الفنية والمعاني والتأملات وأضفت على شعره في تصوير معالم اليمامة ومآثر اهلها جمالاً خاصاً . وقد مزج فيه بين الماضي العريق والأمس القريب وبين اليوم والغد مزجاً فنياً جعله ينفرد بنغمة متميزة غير مألوفة فيما صاغه الشعراء في بكاء الاطلال والوقوف على المنازل والديار وذكر مدارج الصبا ومسارح الطفولة ومهاد النشأة الأولى ومغاني الاحبة .

ويجمل بنا قبل ان نجيل الطرف في تصوير عبدالله بن خميس معالم اليمامة وامجادها ان نذكر نقلاً عما اورده الشاعر في كتابه المجاز – ان اليمامة قد تعددت اسماؤها قديماً ، فسميت « جوا » ، و « العروض » و « القرية » ثم سميت باليمامة ، وهو اسم اليمامة بنت سهم بن

طسم المعروفة بزرقاء اليمامة التي يضرب بها المثل في حدة البصر ، وقصتها مع حسان بن تبع الحميري الذي غزا اليمامة باستعداء طسم على جديس هي التي رشحتها لأن تسمى المنطقة باسمها . ومن ثم يردد شاعرنا في قصائده تلك الأسماء مقرونة بملابساتها التاريخية مضيفاً اليها رجع الأزمنة اللاحقة .

كما تقتضينا كثرة أسماء المواقع والقبائل التي يذكرها في أبياته من وحي بقاع اليمامة ان نشير الى ان حدود هذه المنطقة الطبيعية هي جبلها المحدود جنوباً بالربع الخالي من تحت « نجران » وشمالاً « بالثويرات » شمالي « الزلفي » وما صاقب الثويرات شرقاً حتى « السياريات » و « الدهناء » وما صاقبها غرباً حتى « المستوى » . اما حدودها شرقاً « فالدهناء » . وأما حدودها غرباً « فهضبة نجد » او ما يسمى « بالدرع العربي » بمعنى ان « السر » و « العرض » و « الوشم » و « الريب » و « وادي الدواسر » داخلة في حدود اليمامة (١) .

تلك هي معالم اليمامة ، فأما أمجادها التي استوحاها الشاعر روائعه ، فان لليمامة تاريخاً حافلاً منذ العصور الموغلة في القدم ، مكنها من تكوينه عدة عوامل منها موقعها الجغرافي المتوسط بين اليمن والعراق من ناحية ، وبين الحجاز والبحرين من ناحية اخرى ، فهي تعتبر ملتقى القوافل التجارية ومنتجع قبائل اطراف الجزيرة ، وخصبها ووفرة انتاجها ، وكثرة مياهها ، وجودة نخيلها ، والجبل الاشم الذي اعطاها حصانة طبيعية ووقف حائلاً دون ويلات الحروب وتدميراتها مما كان سبباً في استتباب امنها وامتداد عمرانها ، وتكاثر سكانها . ولذا كانت موطن قبيلتي طسم وجديس من قبائل العرب البائدة . وكان لهم بها آثار واخبار هي مضرب المثل في القوة والنفوذ وبعد الصيت . وفي الجاهلية استوطنها من القبائل العربية أكثرها عدداً ، وأقواها شوكة ، وأكبرها مكانة كقبيلة تميم ، وحنيفة ، وقشيرة . وعقيل . وجعدة . وعامر ، وباهلة وغيرها ، من القبائل النابهة الذكر .

وقد احتفظت اليمامة بمركزها القيادي بعد انكماش ظل الخلافة ، كما أنجبت أعلاماً في الشعر والعلم والقيادة والزعامة لهم اليد الطولى والمساهمة الوافرة في تكوين التراث الاسلامي والعربي (٢) .

وتمتاز قصائد عبدالله بن خميس في تصوير اليمامة بمزجها بين الارض والانسان اي بين المكان وأهله او الطبيعة والأحداث مزجاً يدل على تمثل نفسي وعقلي كامل للتفاعل بين هذين العنصرين . ففي قصيدته « قادها عبد العزيز » التي أنشدها بمناسبة اسالة الماء للرياض يقول مشيداً بالبيئة ورجالها المشهورين قديماً وحديثاً بشدة البأس والشجاعة :

فكم في ربى (حجر اليمامة) (٣) مرتع
تغنى به (ميمونها) و (جريرها)
وفي الشم مما قد سما من هضابها
(خورنقها) ان اعرضت و « سديرها » (٤)
وتردى بها قب الجياد شوامسا
تضج بها اكنافها وثغورها
عليها الكماة الصيد اما رباعهم
(فنجد) واما دارهم فظهورها

وبالنظر الى ان بني حنيفة من أكبر القبائل العربية التي استوطنت اليمامة ، فان شاعرنا يكثر من التغني بها وبواديها وأعلامها في شعره ، مصوراً ما عرف عن بني حنيفة من صبر عند القتال وثبات في موطنه حتى قالت العرب الذين قاتلوهم مع خالد بن الوليد : فتحنا فارس والروم بعد علم اخذناه عن بني حنيفة في القتال وفي ذلك قال الفرزدق :

لعمري لقد سلت حنيفة سلة — سيوفا ابت يوم الوغى ان تعيرا
سيوفاً بها كانت حنيفة تبتني — مكارم ايام تشيب الحزورا
بهن لقوا بالعرض اصحاب خالد — ولو كان غير الحق لاقوا لأنكرا
ولولا سيوف من حنيفة جردت — ببرقان أمسى كاهل الدين ازورا

ففي وادي حنيفة الذي يمثل ابناؤه مناقب الفروسية العربية يقول عبدالله بن خميس في قصيدته « العود احمد » :

فما بلبل قد باكر الغيث ربعه
واغراه ملتف الحمائل أغيد
وظل يجوس الروض طوراً وينثني
يغرد في غصن به يتأود
بأطرب من شادى (اليمامة) هزه
مكارم لا (حزوى) شجته و (ثهمد)
أطلت على (وادي حنيفة) ولدنا
بها البغي يرغي ما يشاء ويزبد
تنوء به ارض الجزيرة حقبة
وتفتك فيها المعضلات وتفسد
فلله من لطف اتيح لاهلها
تبناه من آل السعود ممجد
لدن رفع الشيخ الوقور نداءه
بأني للدين الحنيف مجدد

وهكذا يصل الشاعر مجد حنيفة التليد بمجدها الطريف ، ويعقد الوشائج بين مكانتها الحربية ومكانتها الدينية ، فهي موطن الشيخ محمد بن عبد الوهاب امام الدعوة السلفية رحمه الله ، وموئل جهاده في سبيل احياء الدين ، وهي حمى آل سعود الذين آزروه وناصروه واقاموا دولتهم على دعوته ، تلك الدولة التي وصفها شاعرنا في قصيدته هذه بقوله :

فآزره آل السعود ولم ينوا — لاعلاء دين الله ابلوا وشيدوا
فأرسوا على ارض الجزيرة دولة — يحوط حماها مصحف ومهند
فمن هاهنا سادوا ومن هاهنا علوا — ومن هاهنا تاج العلا كان يعقد
ومن هاهنا قد علم الناس دينهم — نقياً كما املاه من قبل احمد
يروحون افواجاً اليه كأنما — لهم فيه من شطآن دجلة مورد
فعاد الى الاسلام سابق مجده — ولم يبق من يعثو لديه ويفسد

والدرعية هي مركز دعوة الاصلاح الديني الذي اضطلع بها الامام محمد بن عبد الوهاب وهي حاضرة آل سعود الاولى ، وقد كانت زينة منطقة اليمامة التي شدا بها الشاعر ، فلا غرو ان يستلهمها قصيدة من أجود قصائده وهي « امام التاريخ » وفيها يقول :

تسامت فمنها المكرمات نواطق
وقالت وآذان الزمان سوامع
أشارت الى الدنيا باصبع هيبة
له الحق ردء والعقيدة وازع

(١) « المجاز بين اليمامة والحجاز » ص ١٢(٢) « المجاز بين اليمامة والحجاز » ص ١٤ ، ١٥ (٣) حجر : قاعدة اليمامة ، وكان الرياض قديماً يسمى (حجر) ولم يحمل هذا الاسم – الرياض – الا في عصور متأخرة .(٤) الخورنق والسدير . قصران بالحيرة بناهما النعمان بن المنذر .وقد ورد ذكرهما في رائية اليشكري الشاعر الجاهلي اذ يقول :

واذا شربت فانني — رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني — رب الشويهة والبعير

(٥) محمد بن عبد الوهاب .

(٦) محمد بن سعود

فللهدى مـــا يدعو اليه محمــد (٥)
يقـــرره طورا وطوراً يـــدافـــع
ويحميــه مــن غيث الغـواة محمـد (٦)
فيهــدى اليــه تـــارة ويقـــارع
وبينهمـــا قامت على العدل دولــــة
تشير اليهـــا بالخلـود الاصابـــع
لهـــا السيف من (وادي حنيفة) مصلت
تناغيه ابطـــال حمـــاة بواتـــع
أجـادوا فنون الحـرب من عهد (تبع)
كأن المنايـا ان لقـوهـا مراضـــع
اذا سمعوا (العوجا) تـداعوا كأنهـــم
ظماء دعتهـــا للـــورود شرائـــع
هـــم القوم ان يدعـى الوفـاء فانهـم
ذووه وان يدعـى الوغـى فطلائـــع
الى الـراية الخضراء تهفـــو قلوبهـــم
لهم معمعان حولهـــا وتـدافـــع
ومـــا حذقـــوا قـــرع الطبول تدلهـــا
ولكن الى الهيجـا تهيـج المقـــارع

وتجلى في هذه الأبيات قدرة ابن خميس على رسم الصور والأشكال التي تستهوي الحواس والأذواق لما يخلعه عليها من حياة، فهي صور شديدة الاسر يساعده على ذلك قوة تعبيره واحكام بنائه الشعري وهو بفضل مقدرته على السيطرة على أدواته يستبي لب قارئه ويذكي خياله، فيتابع صوره في نشوة ولهفة مفتوناً بها مشوقاً الى المزيد منها ، وهو لا يتكلف مع ذلك ايراد الفاظ او تعبيرات عصية او مبتسرة او غامضة .

ويختتم الشاعر تلك القصيدة بصورة مقابلة تنضح اسى ولوعة ، اذ يرثي الدرعية وقد تحولت الى اطلال عام ١٢٣٣هـ في اعقاب قذف محمد علي الوالي العثماني حصونها بالحديد والنـار واحراقها بقيادة ابنـه ابراهيم ومن ورائهما الدولة العثمانية . وما أشد ما يثيره الشاعر من اشجاننا بابياته الآتية التي تذكرنا حرارة انفاس الشاعر فيها بمراثي شعراء العرب الكبار للفردوس المفقود في الأندلس :

أمـــا هاهنا قد كان عز ودولــــة	**ومجد يسامى هامة النجم فارع؟**
وأودى فأمـــا ساكنوه فغـودروا	**رميمـــاً لهم تحت التراب مضاجع**
وأما الحصون الفارعــــات فانها	**طلول تهيج الذكريات خواشع**
تصابى وليست للصبـا بأليفـــة	**وتخضب منها اشمطا فيمانـــع**
وترنو إلى الماضي بعـين أسيفـــة	**لعل لياليها الرغـاب رواجـع**

ويضيق بنا المقام اذا حاولنا ان نستقصي بالبيان والتحليل ما انتجه الشاعر عبدالله بن خميس من قصائد في معالم اليمامة ومآثرها اذ نراه تارة محلقاً يستلهم وحي الشعر من « طويق » جبل اليمامة الأشم ، وتارة يهبط بجناحيه حتى يمس (وادي ابن عمار) باحثاً عن الرحيق بين أزهاره وأمواه غدرانه ، كما نطوف معه مبهورين قريري العيون نشاوى المسامع وهو ينشد انغامه « من وحي عسير » ، أو يصور « حلبة السباق في أبها » او يطارح شدو الحمائم في « ثادق »

فليكن حسبنا ما قدمناه من شواهد من شعره وما بيناه من خصائصها للدلالة على فيض شاعرية عبدالله بن خميس في ديوانه « على ربى اليمامة » ونجاحه في تصوير الجزيرة العربية بوجه عام ومنطقة اليمامة بوجه خاص — معالمها وامجادها — تصويراً ينبض بالحياة والحركة ●

د . حسن فتح الباب — القاهرة

ثمرات حصاد الكتب

معازف الأشجان

تأليف : الأستاذ طاهر زمخشري
عرض وتعليق : الأستاذ محمود عارف

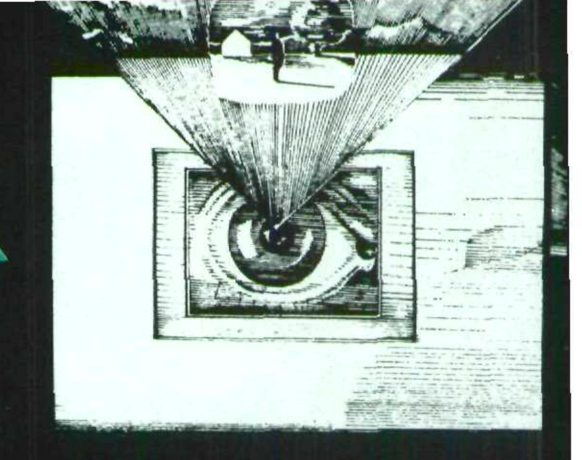
بعد ديوان « عودة الغريب » صدر ديوان « معازف الاشجان » وهما للشاعر الوجداني طاهر زمخشري . وبين الديوانين صلة عميقة ترجع إلى وحدة الغرس . وفي كليهما يجد القارىء منهلاً سلسلاً من العاطفة الرقيقة والاحساس الرفاف . هي عاطفة شاعر يحس بالغربة ، واحساس موجع مثخن بالألم ، والدفق في عطاء هذا الشاعر دفق القلب الغريب . وعطاء الشعور الحزين . ومعنى هذا ان الشاعر طاهر زمخشري يعيش في ديوان معازف الأشجان مع الأحلام اليائسة والأماني الباكية . وهو طابع الشاعر الذي يقطع مسيرته في الحياة على درب الأشواك بدون مشاعل وبدون أضواء . ولم يبق في نهاية هذا الدرب الا الطريق الموصل الى الليل . . والليل هو منبع المعاني التي تنثال من ريشة شاعر حائر ، وملهم حزين . والغربة والحزن عنصران من عناصر الدفقات الشعورية التي تنساب في الشعر الذي نقرؤه في قصائد ومقطوعات « معازف الأشجان » .

من هو صاحب المعازف الشادية بالأشجان ؟ ومن هو الشاعر الحزين الذي يستلهم من قلبه أرق مشاعره المترفة ؟ . انه طاهر زمخشري شاعر الحيرة والغربة . وهما شعار اليأس ، ويكاد القارىء يلمح في شعره الظلال المعتمة المغلفة بالعزوف . . ويسري هذا الطابع على معظم شعره منذ صدر ديوانه الأول حتى آخر ديوان له . . وربما كان عازماً على اصدار ديوان جديد لا يخلو حصاده من هذا الألم .

والزمخشري مطبوع على تصوير الألم واخراجه في قوالب تعنى بالشكل لاخفاء الواقع الذي يعيشه بعيداً عن الناس، ولكن صور الحزن ما تزال واضحة الألوان في الاطار الضيق الذي يحصر المعنى المحدود ، وهو اطار التعبير بالشعر — لفظاً ومعنى واسلوباً — ولا بأس في بعض الأحيان أن يكون اللفظ قاصراً على المدلول « البعيد » ، ولكن المعنى هو العنوان الذي يعطينا التفسير « القريب » للاساس الذي يتوارى خلف محاولاته الفنية للافصاح عن عواطفه وافكاره باسهل ادوات التعبير .

كما يصنع الرسام حين يربط بين الواقع والخيال ، بالظلال والألوان في مبدعاته التي تبرزها « اللوحات » صوراً متلامحة كأحلام النائم التي ترى في «الاغفاءة» ، ولا تمتد اليها العين الا بالقدر الذي يحدد الأطار ، ولا يدرك أعماق الصورة ولا اسرار التلوين داخل الاطار المحدود ●

محمود عارف — جدة



علاج البصر

أمل جديد للأطفال الذين يعانون من التخلف الذهني

يواجه الأطباء ، احياناً ، صعوبات في تحديد بعض أنواع الأمراض ومعرفة مسبباتها . فقد كان الطبيب في الماضي ، يعتمد على مهارته وخبرته الطويلة في التعرف الى نوع المرض ووصف الدواء اللازم لعلاجه ، اما الآن فإن ما وصل اليه العلم الحديث من تقدم وتطور في هذا المضمار ، قد فتح آفاقاً جديدة امام رجال الطب ويسرت لهم المعلومات التي يمكنهم على ضوئها تشخيص المرض وتحديد نوعه وابعاده ووصف العلاج المناسب له .

ويعود الفضل في ذلك الى وجود المختبرات التي تعتبر اليوم نواة العصر ، حيث تجرى الفحوص والتحاليل الطبية التي تقود الطبيب في معظم الأحيان الى الوقوف على طبيعة المرض ومسبباته .

ولكن على الرغم من هذا التقدم المذهل الذي حققه الانسان في مختلف المجالات فانه ما زالت هناك عقبات تقف إمام هذا العلم تجعله حائراً عاجزاً عن حلها او التعرف الى مسبباتها . وايجاد العلاج اللازم لها . كما ان هناك امراضاً ، قد تكون بسيطة في حد ذاتها ، ومع ذلك يخفق الأطباء في التعرف اليها او اكتشاف مسبباتها وابسط مثال على ذلك مرض العيون الذي تقدم الطب الحديث في علاجه الى اقصى الحدود حتى توصل الى استبدال القرنية واحياناً الى زرع عين سليمة مكان اخرى تالفة . وقد لا يصدق القارىء ان بعض أمراض العيون تؤثر تأثيراً كبيراً على تصرفات الأطفال خلال العقد الأول من اعمارهم ، وانها تدفعهم الى القيام بتصرفات غريبة خارجة عن نطاق ارادتهم ، مما يحمل البعض على الاعتقاد بأنهم مصابون بلوثة عقلية ، او بتخلف ذهني أو بنوع من الجنون ، وانهم يحتاجون الى اطباء نفسانيين لعلاجهم ، بينما تكون الحقيقة عكس ذلك تماماً

وهما يذكر ان طفلا في الثالثة من عمره كان غريب الأطوار ، اذ كان يصدم الاشياء ويهوي على الارض ويكسر الدمى التي تقدم اليه ، وكان يزعج الأطفال الذين في سنه ، ويعلو وجهه العبوس رغم البيئة المرحة التي نشأ فيها ، فضلا عن ذلك فقد كان لا يحب احداولا يحبه احد . ولما بلغ الخامسة من العمر ودخل روضة الأطفال ، أخذ يتشاجر مع زملائه في المدرسة ، ولم يعتن بادواته المدرسية مما جعل الاساتذة يستاؤون منه ويعتبرون حالته امراً يصعب حلها . وحين بلغ سن السابعة عرضه اهله على عدد من الأطباء الاختصاصيين حيث اجريت له فحوص عديدة دلت جميعها على انه يتمتع بصحة جيدة ، الا انه مصاب بانفعال نفسي حاد مما يجعل دخوله للبيئة المدرسية امراً متعذراً . والاسوأ من ذلك ان احد الأطباء النفسانيين اقترح على اولياء امر الطفل ادخاله احدى المؤسسات الاجتماعية . ولما بلغ التاسعة من عمره اصبح يقرأ ويكتب ويدرس الرياضيات والعلوم والدروس الأخرى كأي تلميذ عادي آخر في فصله ، واصبح لديه اصدقاء من زملائه في المدرسة ومن ابناء الجيران.

ترى ، ما الذي حدث بين الفترة التي اقترح فيها ادخاله احدى المؤسسات الاجتماعية والفترة التي عرض فيها على احد مراكز معالجة البصر ؟ وهذا المركز كما هو معروف عنه مختص في فحص مقياس البصر وتحديد نوعية النظارات الطبية اللازمة للقراءة او للرؤية حسب مدى ضعف البصر . وقد يتساءل البعض ما علاقة هذا المركز والنظارات بحالة ذلك الطفل وتصرفاته الغريبة ؟ الواقع انه توجد في البلاد المتطورة محلات عديدة تتعامل بتصميم النظارات الطبية يشرف عليها اناس مختصون بتحديد مقياس البصر . ومن بين هؤلاء الاختصاصيين طبيب نفساني مختص بالحالات النفسية الناتجة عن الابصار وطبيب عيون يتولى مهمة فحص البصر وتحديد سمك زجاج النظارات الذي يناسب ضعيفي النظر ، وكذلك خبير في الادمغة الالكترونية الذي يعمل دائماً على تطوير المعدات الالكترونية وقياس انكسار الضوء بدقة متناهية.

ولقد جرى تشخيص مرض ذلك الطفل وعلاجه في مركز معالجة البصر على اساس ان حالته معقدة وتتعلق بـ « الادراك الحسي — Perceptual » رغم أن اطباء المدرسة قاموا بفحصه من قبل ووجدوا ان حالته كانت طبيعية ، كما كشفت المعالجة ان المعلومات التي تصل الى مركز الدماغ عن طريق العين لا تصل جلية واضحة بسبب عائق يعترض طريقها . وقد صرح الطبيب المختص في المركز ومنسق التعليم بأن المشكلات ذات الادراك الحسي يكاد يكون شرحها عسيراً لدى الاشخاص الذين ليست لديهم خبرة في هذا المضمار ، وكل ما يمكن ان يعرف به الادراك الحسي ، هو العمل الذي يقوم به البصر عند تلقيه المعلومات عن طريق البصر ، وبما ان ٨٠ في المائة مما نتعلمه يأتي عن طريق البصر ، فمن الجلي ان البصر والتطور العقلي متحدان تماماً في ضفيرة واحدة . فعندما تحدث مشكلة فيسيولوجية واضحة ومرئية ، كعطب او ضعف في الجهاز البصري ، او ارتباك عصبي ، او عطب في الدماغ ، فقد يكون علاج ذلك العطب ممكناً عن طريق الجراحة التجميلية ، او الجراحة العادية او العلاج الطبي . واذا ما فشلت جميع هذه الوسائل ، فليس أمام المريض اي سبيل سوى ان يكيف حياته حسب ظروفه ووفق اوضاعه . اما اذا كانت المشكلة يتخللها شيء من الغموض والابهام ، وتبين ان كافة الاعضاء الفيسيولوجية تعمل بصورة طبيعية ، وان الطفل يتصرف بطريقة غير عادية ، فان ذلك يدل على ان لديه ضعفاً في نسبة الذكاء وتخلفاً ذهنياً او عقليا .

ولكي يعمل الجهاز البصري لدى الاطفال بصورة جيدة لا بد ان تتوفر فيه اربعة عناصر اساسية وهي : حدة البصر ، التكيف ، التقارب ، والعمل الجماعي . فحدة البصر تعني المقدرة على تبيان تفاصيل الأشياء المنظورة على ابعاد مختلفة . والتكيف يعني مقدرة عدسة العين على ضبط صور الأشياء التي تنظر اليها العين بسرعة . والتقارب يعني مقدرة العين على تحويل الشيء المنظور الى شكل ثلاثي او دائري . اما العمل الجماعي فيعني ان العينين يجب ان تعملا معاً كفريق واحد .

ويقول احد الأطباء ان الطفل قد يقرأ لوحة فحص النظر بوضوح تام ومع ذلك فقد تكون لديه مشكلة في التقارب او التكيف . ونتيجة لذلك يشعر بتعب في نظره اثناء القراءة او بصداع في رأسه . ويذكر احد الأطباء انه كثيراً ما يحدث ان يكون بعض الناس لا يدركون انهم يرون العالم بشكل يختلف عن الشكل الذي يراه معظم الناس . فقد حدث ان سئل احد الاطفال امام والديه : هل ترى الاشياء مزدوجة ؟ فأجاب الطفل بنعم . فدهش ابواه من اجابته وسألاه : لماذا لم تخبرنا بذلك ؟ فأجاب الطفل ولماذا اخبركم ؟ الا يرى كل انسان الأشياء مزدوجة ؟ . وما دام الادراك الحسي يعتمد على البصر فلا شك في ان البصر الضعيف ينتج عنه ادراك حسي ضعيف ، وهذا عامل مهم قد يغير مجرى حياة الفرد من سيء الى أسوأ .

مع ذلك فان حالة الطفل الذي يستطيع ان يجيب الطبيب حين يسأله ما اذا كان يرى الأشياء مزدوجة ، او غير واضحة ، او عينه تدمع عندما يقرأ ، ان حالة هذا الطفل تعتبر احسن بكثير من حالة الطفل الذي يعاني من تخلف ذهني ، أو عطب في الدماغ ، أو الاصم الأبكم الذي لا يستطيع ان يعبر عن الصورة التي يتلقاها دماغه . ولكن الدكتور « جيروم شيرمان » يشير الى ان هناك الآن أملاً في شفاء مثل هذه الحالات فيقول : « من اهم الانجازات الرئيسية التي تقدمت فجأة في حقل طب العيون « امكانية اعادة البصر — Visual Evoked Response » اذ اننا نستطيع ان نقيس ابعاد البصر عن طريق تحليل موجات الدماغ ، وذلك بوضع هدف أمام الشخص ثم نقيس مدى التجاوب الذي ينتج عن « القشرة القذالية — Occipital cover » في الجزء الخلفي من عظام الدماغ بالنسبة لذلك الهدف . وطريقة قياس أبعاد البصر غير مؤلمة وكل ما في الأمر هو الصاق اقطاب الجهاز الكهربائية — Electrodes بشحمة الأذن وبقاعدة الجمجمة ثم اطلاق اشعاعات ضوئية ، يراها المريض أمامه ، وبعد ذلك تسجل الموجات الكهربائية الصادرة عن الدماغ على رسم بياني ومن ثم تقارن النتائج بنماذج معروفة يتبين الطبيب من خلالها ما اذا كان الجهاز البصري يعمل جيداً ام لا ، وكذلك فحص حدة البصر ، وقصر البصر ، وبعد البصر ، والعلل البصرية الأخرى . فاذا ما ظهرت اية علة بصرية ، وضعت أمام عيني المريض عدسات مختلفة ، واستمر الفحص الى ان تتوفر العدسة الملائمة لاعطاء القراءة البيانية المطلوبة . ومما يذكر ان طريقة الفحص الجديدة هذه قد ساعدت على اصلاح عدسات

النظارات الخاصة ببعض الأطفال الصم البكم ، مما ساعد على تحسين تصرفاتهم . وهكذا فان مساعدة الفرد على رؤية العالم بشكل اوضح ، تساعده على التصرف بطريقة اعتيادية في المجتمع العام . الا ان طرق الفحص تلك لا تعطي دائماً النتائج المرجوة . فقد ظهر من خلال فحص جرى مؤخراً لفتاة في الثالثة عشرة من عمرها ، انها عمياء وان السبب في ذلك هو تضخم الشريان البصري . فكانت تلك النتيجة بمثابة صدمة محزنة بالنسبة لأهلها ، الا انها اعطت فرصة للفتاة كي تتلقى التدريب والعلاج اللازمين لها منذ مطلع شبابها .

وقد تولى اجراء هـذه الفحوصات مستوصف خاص ببصر الأطفال ، فاعتبر ذلك تطوراً كبيراً في « علم قياس البصر — Optometric Science » . ومما قد يندهش له زائر المستوصف ، ان يرى احد الأطباء الاخصائيين يزحف على الأرض أمام احد الأطفال وقد وضع على وجهه قناعاً ، وحين يحدق الطفل في القناع يقوم الطبيب باشعال ضوء يوجهه إلى عيني الطفل ، وقد يرى الزائر في الوقت نفسه طفلاً آخر يحدق بذهول في برميل مخطط يدور ، بينما يقوم الطبيب بالتحدق في عيني الطفل بكل اهتمام . فقد اثار دوران البرميل انعكاساً بصرياً لدى الطفل يعرف علمياً بـ « ترأرؤ أو ارتجاف العين — Nystagmus » السريع اللاارادي . تحين تزداد سرعة دوران البرميل تدريجياً ، وزداد الخطوط دقة بحيث يصعب رؤيتها . وهناك ظاهرة اخرى هامة يتميز بها مستوصف قياس بصر الأطفال ، الا وهي « التسجيل المرئي — Videotaping » . وهذه الطريقة تساعد الطبيب على دراسة حركات الطفل وتصرفاته بكل دقة وعناية وتقرير ما اذا كان نموه الجسماني يتماشى تماماً مع نموه البصري . ولو ان ذلك الطفل الذي اتينا على ذكره في البداية قد اتيح له ان يدخل احد هذه المستوصفات لكان قد تجنب سنوات من العذاب والشقاء ، ولكانت مشكلة ادراكه الحسي قد عرفت وعولجت في وقت أبكر بكثير . فالادراك الحسي يعتمد تماماً ، في فترة الطفولة المبكرة ، على القدرة الجسمانية . والدليل على ذلك هو أن الطفل في الشهر السابع من عمره ، يمسك الأشياء اولاً ثم يقربها نحو بصره لينظر اليها ، بينما الطفل في الشهر الثاني عشر من عمره يفعل عكس ذلك تماماً ، اذ انه يحدق في الشيء الذي يراه ثم يحاول أن يمسكه . وكلما زاد الطفل نضوجاً ، زادت قدرته على التعرف إلى حجم الشيء الذي يراه والمسافة التي تفصله عنه ، اذ ان الطفل يلاحظ في البداية ، ان كل شيء قريب منه يكبر حجمه عن أي شيء آخر بعيد عنه . وعلى سبيل المثال فقد كان يلاحظ ان الكرة التي في يده هي أكبر حجماً من الكلب الذي يلعب أمام النافذة . الا ان ذلك الطفل يصبح فيما بعد قادراً على تبيان المعلومات التي تلتقطها عيناه وتقديرها بطريقة صحيحة ، معتمداً في ذلك على الخبرة التي اكتسبها وعلى ادراكه بأن المسافة هي عمل يحدده هو بنفسه . وكذلك فان مفهوم الانسان للاتجاهات مثل اليسار واليمين ، وفوق وتحت ، كل هذه الأشياء تتعلق بالانسان نفسه وبموقعه بالنسبة للمسافة . وهي مهمة جداً لتطوير الادراك الحسي ، فبدون هذا الادراك لا يستطيع الطفل ان يفرق بين الرقمين ٧ و ٨ مثلاً . ولكي يستطيع التمييز بينهما يجب ان يكون قادراً على تحديد ما اذا كان رأس الرقم يتجه الى اعلى او الى اسفل ، وهذا بالطبع يحتاج الى المام الطفل بالاتجاهين : الأعلى والأسفل . فالاطفال الذين يواجهون مثل هذه الصعوبات لا يستطيعون ان يميزوا مثلاً بين الحرف « d » والحرف « b » ولا بين كلمة « Tar » وكلمة « Rat » او يحددوا المسافة التي تفصل بينهم وبين الحافلة التي تتجه نحوهم . فهؤلاء الاطفال الذين يعانون من نقص في ادراكهم الحسي ، يعيشون عادة حياة صعبة يسيطر عليها الارتباك والرعب المستمران . ولئن كانت جميع الأعضاء الفيسيولوجية ، والكيمياء الحيوية ، والعصبية تعمل جيداً ، فانه ما تزال هناك مشكلة قائمة في الادراك الحسي ، فالمتخصص في علم قياس البصر ينصرف عن البحث عن المسببات ليتجه إلى البحث عن الحقيقة عن طريق اجراء الفحوص الخاصة بقياس الذكاء مثل وضع بعض الأشكال المجسمة في خروق ملائمة لها ، أو جعل الطفل ينظر بعينيه الى هدف معين ، أو التنسيق بين حركة الذراع والساق . فاذا ما أظهرت هذه الفحوص اية علاقة غير متكافئة بين حركة الجسم وحركة البصر ، حينئذ تبدأ سلسلة من التمارين الرياضية وطرق المعالجة التي يتولى القيام بها عادة مدرب خاص أو طبيب نفساني . ولكن غالباً ما يقوم الاختصاصي نفسه بعلاج المريض على مراحل بطيئة ومتواصلة يمر خلالها الطفل ، مثل : ضخامة جسمه او تناسق حركة اعضائه الكبيرة ، وحسن تناسق جسمه او طريقة تناسق اعضاء جسمه الصغيرة ، وتناسق حركة بصره او التناسق البصري الهادىء والحركات الجسمانية التي تنبه الطفل الى وجوده . فمعظم أساليب العلاج البصرية هذه تنتج عن ساعات طويلة من التجارب والتحسينات التي تجري في مراكز معالجة البصر المختلفة .

ويتوقع الدكتور « شيرمان » أن يكشف المستقبل عن بعض الأجوبة التي تتعلق بتلك الأسرار الغامضة ، ويتوقع كذلك ان يكون للابتكارات الالكترونية والادوات المتناهية في الصغر ، تأثير عميق على علم قياس البصر . كما انه يتنبأ بأن تظهر الى الوجود بعد ٤٠ او ٥٠ سنة ، آلات تصوير تلفزيونية صغيرة يستعملها المكفوفون بدلا من العيون ، وهذه الالآت تنقل المعلومات مباشرة الى الدماغ ، ولربما امكن تغطيتها بقرنية اصطناعية تجعلها تبدو وكأنها عين طبيعية . وقد يصبح من الممكن وصلها بالعضلات كي يتمكن المكفوف من تحريكها يميناً ويساراً . كل هذه الأشياء ممكن تحقيقها ، وقد بدأ العمل فعلا في البحث عنها . ويروي الدكتور « سوخوف » بكل اعجاب ، قصة فتاة شابة ادخلت مدرسة خاصة بالمتخلفين عقلياً ، وقد ثبت فيما بعد ان الفتاة مكفوفة وانها كانت بعيدة كل البعد عن التخلف الذهني اذ كانت في منتهى الذكاء الى حد يمكنها من تكييف نفسها مع عالم المبصرين دون ان يشك احد في انها مكفوفة . ولكن الدكتور ، الذي كان يعمل مستشاراً طبياً في المدرسـة المذكورة ، لاحظ تصرفاتها وبدأ يشك في امرها . فأجرى لها فحـوصات اضافية ، تبين له بعدها ان عينيها عاديتان وان صحتها جيدة . ولكن ظهر له انها مصابة بمرض نادر في شبكية العين من الصعب اكتشافه ، وعلى اثر ذلك ادخلت الفتاة مدرسة المكفوفين حيث اظهرت تقدماً مدهشاً وسريعاً . ويضيف الدكتور سوخوف قائلا : اذا تمكن الانسان من اكتشاف شيء كهذا ولو مرة واحدة طوال حياته ، وتمكن من تغيير مجرى حياة انسان نحو الافضل ، فانه يشعر باعتزاز بأنه يقدم شيئاً نافعا للمجتمع الانساني ●

زكريا خليل البنا

عن مجلة « ساينس دايجست »

أخبار الكتب

تصدر الجامعة الامريكية بالقاهرة سلسلة من الكتب البيليوغرافية التي تتناول آثار كبار الأدباء المعاصرين وترصد مؤلفاتهم وتحصي ما كتب عنهم في دوريات الأدب على مدى سنوات حياتهم المخصبة .

■ وقد صدر الجزء الأول من هذه السلسلة عن العلامة الراحل الدكتور طه حسين ، فاشتمل على ترجمة لحياته ، ثم قوائم مفصلة بكتبه المؤلفة والمترجمة وما نقل منها الى اللغات الأجنبية ، وقوائم مبوبة لما نشر عنه من مؤلفات ودراسات في أكثر من نصف قرن .

■ وقد أشرف على اعداد هذا الكتاب المستشرق الانكليزي مارسون جونز والدكتور حمدي السكوت وصدر عن مطبعة الجامعة الأمريكية .

ومن كتب السير والتراجم التي صدرت اخيراً كتاب « رحلة مع الظرفاء » للأستاذ احمد عبد المجيد وفيه سير اعلام رجال الفكاهة في الأدب العربي والآداب الغربية مثل عبد العزيز البشري وامام العبد وبيرم التونسي وابراهيم عبد القادر المازني وحافظ ابراهيم والدكتور محجوب ثابت وموليير وفولتير ومارك توين وساشاجيتري وحسين شفيق المصري ومن اليهم . وفي الكتاب طرائف ومفاكهات كثيرة وقعت لهؤلاء الاعلام وكانت موضوع ترويح وعبرة . وقد صدر هذا الكتاب في سلسلة « اقرأ » لدار المعارف . وفي الوقت عينه اعد الباحث الفلسطيني الاستاذ هنري كتن كتاباً باللغة الانكليزية عن الفكاهة في الأدب العربي يصدر قريباً عن دار لونجمان في لندن .

■ وفي باب السير نشر كتاب «قصة حياتي» من تأليف الملاكم المشهور محمد علي كلاي وشاركه في وضعه ريتشارد دورهام ، وقد نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الخالق علام وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، كما صدر كتاب « كافكا » لتشارلس اوزبون نقله الى العربية الأستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد ونشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

هذا ويعد الباحث العراقي الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين دراسة عن الشاعر المهجري جورج صيدح ، يتناول فيها حياته وأدبه وشعره وآراءه في المعاصرين له في المهجر والوطن ورسائله الخاصة .

صدر عن دار الشروق في جدة كتاب « الجديد في الادارة المدرسية » تأليف الأستاذ حسين عبدالله محضر .

■ كتابان عن فنون الحرب عند العرب صدرا أخيراً، هما « فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين » من تأليف الأستاذ بسام العسلي ونشر دار الفكر ببيروت ، و « المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية » من تأليف اللواء محمد جمال الدين محفوظ ونشر الهيئة المصرية .

■ من الكتب الدينية التي صدرت أخيراً « أبو الأنبياء : دراسة من القرآن الكريم » للدكتور منيع عبد الحليم محمود ونشر مكتبة الأنجلو المصرية ، و « اهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم » للدكتور عبدالله محمد شحاته ونشر الهيئة المصرية ، و « لماذا أسلم هؤلاء » للأستاذ احمد حامد ونشر دار الشعب ، و « مثالية الدعوة والدعاة » للاستاذ عبد الحفيظ فرغلي علي ونشر المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية .

■ « طرق صيانة وترميم الاثار والمقتنيات الفنية » عنوان كتاب صدر للاستاذ عبد المعز شاهين وراجعه الدكتور زكي اسكندر ونشرته الهيئة المصرية .

يصدر قريباً الديوان الكامل للشاعر محمود أبو الوفا وفي ذيله طائفة من الدراسات التي كتبت عن هذا الشاعر بأقلام معاصريه من أمثال طه حسين ومصطفى صادق الرافعي وهيكل وفؤاد صروف وسيد قطب والشاعر أحمد شوقي والدكتور احمد زكي أبو شادي والعقاد ومحمد شوقي أمين .

■ ومن دواوين الشعر الجديدة التي صدرت أخيراً : « ملحمة المتنبي في ذكراه الأربعين بعد الألف » للشاعر المهجري زكي قنصل ، وقد نشرتها مطبعة ميسلون في بونس ايرس بالارجنتين . كما صدر في فاس بالمغرب ديوان «حينما يورق الجسد» للشاعر رشيد المومني ونشرته مطبعة النهضة ، وصدر ديوان « باب المدينة » للأستاذ محمود العتريس . و « أغني اليوم للحسناء» للشاعر محمد احمد أبو غربية المكنى « بابن القدس »

■ أصدر الأديب السوري الأستاذ سعد صائب كتاباً من كتب الدراسات الأدبية عنوانه « دراسات أدبية في المجالين الابداعي والنقدي » تناول فيه آثار أدباء وشعراء معاصرين مثل الشاعر القروي والياس فرحات وجورج صيدح ونظير زيتون والدكتور عمر النص وسلامة موسى واورخان ميسر وشكيب الجابري ووهيب دياب وعبد الكريم اليافي . وقد وفق الاستاذ صائب في رسم صورة بيانية للشخصيات التي درسها وحلل آثارها تحليلا مقارناً مبرزاً أصائل القيم في كل من هؤلاء الأدباء .

وكتب مقدمة الكتاب الأستاذ عبد المعين الملوحي ونشرته مكتبة أطلس .

ومن كتب الدراسات الأدبية التي صدرت أخيراً : « عباس العقاد بين اليمين واليسار » للأستاذ رجاء النقاش ونشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، و « المجاز واثره في الدرس اللغوي » للدكتور محمد بدري خليل ونشر دار الجامعات المصرية بالاسكندرية ، وطبعة ثانية من كتاب « أدب المرأة العراقية » للدكتور بدوي احمد طبانة طبع الكويت و « البطل المعاصر في الرواية المصرية » للاستاذ احمد ابراهيم الهواري ونشر وزارة الاعلام العراقية .

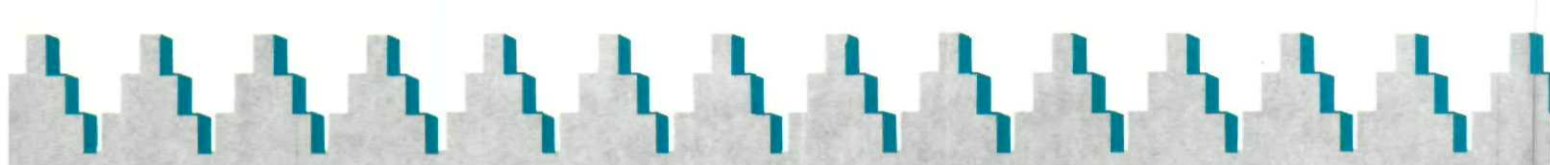
■ في الأدب الروائي صدرت طائفة من الكتب منها « واخضرت الأرض » وهي اقاصيص للاستاذ طه حواس ونشر الهيئة المصرية ، و « زمن الزخارف » وهي اقاصيص للأستاذ سمير العيادي بمقدمة للأستاذ عز الدين المدني ونشر الدار العربية للكتاب ، و « الزيتون لا يموت » للاستاذ عبد القادر بلحاج نصر ونشر الشركة التونسية ، و « ريح الجنوب » للاستاذ عبد الحميد بن هدوقة ونشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . وأقاصيص مترجمة عنوانها « صديق الشدة » للاستاذ علي ادهم ونشر دار الهلال ، ورواية « بقايا صور » للاستاذ حنا مينه ونشر وزارة الثقافة السورية ، ومسرحيتان لجان كوكتو عنوانهما « فرسان المائدة المستديرة » و « الآباء الأشقياء » وقد ترجمهما الأستاذ فؤاد كامل وراجعهما الأستاذ محمود علي مراد ونشرتهما وزارة الاعلام في الكويت .

■ من الكتب التي تتناول قوانين الطيران كتاب صدر في الجزائر عنوانه « شروط قيام مسؤولية الناقل الجوي والأسباب القانونية لدرئها » من تأليف الأستاذ عبد الستار التليلي ونشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .

في الميكانيكا صدر كتابان جديدان هما « السيارة والقيادة السليمة » للاستاذ احمد بركات ونشر مكتبة الانجلو المصرية ، و « مدخل هندسة الراديو » للدكتور سعد الدين يوسف ومراجعة الدكتور عبد السميع مصطفى وقد صدر في جزءين وتوزعه جريدة الأهرام .

■ « الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك» دراسة في تربية الخيل صدرت للدكتور نبيل محمد عبد العزيز ●


لمحات
من
تاريخ
دولة
قطر
دولة قطر
الخليج العربي
الخليج العربي
الخوير
الزبارة
الخور
الوسيل
دخان
الدوحة
الوكرة
كرعانه
أم سعيد
قرن ابو وائل
سلوى
المملكة العربية السعودية
مركز قطر في الخليج
ايران
قطر
الامارات العربية المتحدة
خليج عمان
مسقط
المملكة العربية السعودية
سلطنة عمان
بحر العرب



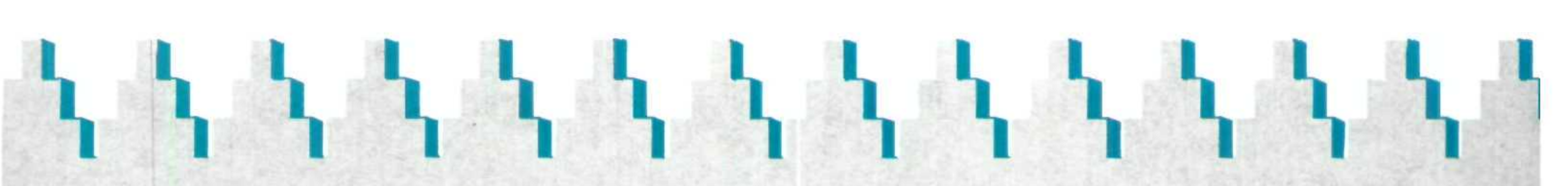
إذا كان هنالك ما يسترعي الانظار في منطقة الخليج هذه الأيام ، فهو ذلك التغير السريع الذي طرأ على مظاهر الحياة فيها ، حتى لقد أصبح من العسير على المرء متابعة مراحل هذا التغير في كثير من الوجوه . ويعود هذا التطور السريع الى الثروة البترولية التي اغدقها الله على هذه الأرض الطيبة ، فاحدثت تغيراً جذرياً في أنماط الحياة التي الفها وشب عليها سكان المنطقة لدرجة بات معها يتخوف البعض من ان حركة التصنيع والتغير الاجتماعي ، والتحول الى التحديث العصري في جميع مناحي الحياة ، قد تتحقق جميعها على حساب انطماس معالم تراث المنطقة الثقافي الثري ، واختفاء الأساليب الحياتية العريقة .

يقول الآلوسي عن قطر في كتابه « تاريخ نجد » : « قطر منزل اهل السفائن من العرب الذين يغوصون في البحر لاستخراج اللؤلؤ ». وقيل ان عدد مراكب قطر التي كانت تخرج لصيد اللؤلؤ في اوائل القرن الحالي بلغت نحو ٨٧٥ سفينة ثم اخذ عددها يتناقص شيئاً فشيئاً حتى بلغ عام ١٩٢٨م نحو ٤٠٠ سفينة . غير ان ظهور اللؤلؤ الصناعي الياباني في الأسواق ادى الى اضمحلال استخراج اللؤلؤ الطبيعي ، الأمر الذي انعكس على الأوضاع الاقتصادية في قطر . بيد ان فترة الركود التي مرت بها قطر لم تدم طويلاً ، فقد افاء الله عليها بخيرات وفيرة ، اذ تدفق البترول من قعر البحر في عام ١٩٤٠م فكان تدفقه فاتحة خير لأبناء قطر ، كما كان الدعامة القوية التي قامت عليها النهضة الشاملة فيها ، فاتسعت رقعة العمران ونشطت الحركة التجارية والصناعية والزراعية ، وازدهر الاقتصاد ، وانشئت المدارس والمستشفيات ، وعبدت الطرق ، وقامت صناعات مستحدثة عديدة ، نجد آثارها جلية في أرجاء البلاد ، وخاصة في العاصمة الجميلة الدوحة التي تتربع على صدر الخليج .

ان هذا التطور السريع في جميع المجالات الحياتية دفع بالكاتب « جان جاك بيريبي » الى القول : « لو ان السندباد البحري الذي انطلق من البصرة أيام العباسيين بعث حياً في عصرنا هذا وقدر له ان يكحل عينيه بعجائب الخليج الحديثة ، لفرك عينيه وفغر فاه مشدوهاً بما يرى ، ولطلب ان تزاد قصة « الف ليلة وليلة » لتروي في الليلة الثانية بعد الالف حكاية الخليج الذي يحوي اضخم احتياطي للبترول في العالم » .

والخليج ، الذي تؤلف شبه جزيرة قطر جزءاً منه ، يتمتع بموقع استراتيجي اكسبه منذ اقدم الأزمنة اهمية خاصة بين البحار الداخلية . وقد لعب هذا الخليج دوراً بارزاً في حقب التاريخ المتعاقبة بوصفه من أهم الطرق الملاحية التي تصل الغرب بالهند والشرق الأقصى ، حيث الحرير والتوابل والطيوب والبخور . ومن شطآنه سير العرب قديماً اساطيلهم لتجوب البحار النائية تحمل للعالم المعروف آنئذ خيرات الشرق والغرب ، ومن شطآنه اقلعت سفن الرحالين العرب الذين يرجع اليهم الفضل في وضع الأسس العلمية للملاحة قبل ان يعرف الغرب عن الملاحة البحرية الا طرقاً بدائية صرفة . وشبه جزيرة قطر تضرب جذورها في أعماق التاريخ ، دليل ذلك ما عثرت عليه البعثة الدانماركية (١) في قطر من أدوات ترجع في تاريخها الى العصرين الحجري والحديدي . فمن التقرير المفصل الذي أعدته البعثة تحت عنوان « ثقافة العصر الحجري في قطر » نعلم ان البعثة بدأت اعمال التنقيب عن الآثار في قطر عام ١٩٥٦ واستمرت حتى عام ١٩٦٤ . وبدأ سير الابحاث التمهيدية من « دخان » في الجانب الغربي من شبه الجزيرة متجهاً الى الشمال الغربي حتى قلعة « مرير » ومنها الى الجنوب الغربي حتى « الخور » مدينة صيد الأسماك ، ومنها الى « ام سعيد » في الجنوب ، ثم في اتجاه الغرب مرة أخرى الى دخان عبر حزم « بريخ » و «الكرعانة»، وشمل بعدئذ القسم الجنوبي من شبه الجزيرة حتى « عقلة المناصير » . ولم تصل هذه الأعمال التنقيبية الى نتيجة هامة حتى عام ١٩٥٩ حين اسفرت عن العثور على كثير من الآثار تعود الى ما قبل العصور التاريخية ، وتدل على وجود نوع من الحياة المستقرة في شبه جزيرة قطر منذ أقدم الأزمنة . ففي « ام الماء » وجدت ادوات صوانية ، وحفر عدد من القبور فيها . وبالقرب من الساحل الغربي جنوب دخان عند « الهملة » وجد لاول مرة رأس سهم ذو نتوءات ولسان من نوع رؤوس سهام العصر الحجري المتأخر ، وعلى حافة « الوسيل » على الساحل الشرقي بين الدوحة والخور عثر على مكان استيطان كبير يحتوي على اسلحة ذات رؤوس سهمية يحتمل ان تكون من العصر الحجري الأوسط . وحفرت « كومات وجثمات — Tumuli & Cairns » شمالي « ام صلال » وبالقرب من « رأس ابروق » ، اسفرت عن نتائج مشجعة ، حيث وجد قبر محارب به هيكلان عظميان ويحتوي على عدد كبير من رؤوس السهام الحديدية وسيف حديدي أكلها الصدأ . وعند جبل « جساسية » و « فويرط » عثر على مجموعة كبيرة من النقوش الصخرية في صفين مزدوجين طويلين عبارة عن

(1) Reports of The Danish Archaeological Expidition - Qatar



« ورديات – Rosettes » ورسوم سفن مختلفة الأشكال بعضها بمجاديف . وعلى منبسط رملي شمالي دخان بالقرب من « رأس عوينات علي » دلت الحفريات على اماكن استيطان تحتوي على أوان فخارية ذات طابع اغريقي من النوع السلوقي ، وهو أقدم نوع من الفخار يوجد في قطر . وفي موقع يبعد نحو ١٥ كيلومتراً الى الجنوب من « ام سعيد » وجدت اسلحة ذات رؤوس سهمية ، ارسلت البعثة عينة منها الى معمل تحديد تاريخها بواسطة الكربون المشع رقم – ١٤ في المتحف الوطني بكوبنهاجن ، وتبين ان تاريخها يرجع الى ٥٠٢٠ سنة قبل الميلاد ± ١٣٠ سنة . ومن بين الأدوات الصوانية التي تم العثور عليها رؤوس السهام ، والفؤوس ، ورؤوس الرماح ، والمخاريز، والمثاقب ، والمكاشط ، والمساحج ، والسكاكين ، والأزاميل ، وهي أدوات ذات اشكال متعددة منها المشرشرة والمدببة والحادة وغيرها .

هذا وقد سمحت دولة قطر في نهاية عام ١٩٧٣ لبعثة بريطانية بالقيام بمسح شامل لشبه جزيرة قطر للبحث عن آثار تنتمي لعصور أكثر تقدماً .

ان المكتشفات الأثرية في قطر تدل بوضوح على وجود اقوام سكنت في جهات متعددة من شبه الجزيرة خلال فترات متعاقبة من التاريخ ، وان هذه الأقوام مرت بتطور مستمر ابتداء من حياة بدائية بسيطة لم يستعمل السكان فيها الا ادوات متواضعة ، الى حياة استعمل فيها السكان الأقدمون انواعاً مختلفة من الأدوات المتقنة الصنع ، التي تدل على مهارة فنية ، وعلى وجود مجتمعات راقية . ولعل الكنعانيين ، ومنهم الفنيقيون على رأي ابي التاريخ « هيرودوتس – Herodotus » ، هم اول الأقوام السامية التي نزحت من أواسط شبه جزيرة العرب ، واستقرت على سواحل الخليج حوالي الالف الرابع قبل الميلاد . وأنشأ الفنيقيون على سواحل الخليج مدناً عامرة قبل هجرتهم الى سوريا وسواحل البحر المتوسط في الالف الثالث قبل الميلاد .

وشبه جزيرة قطر معروفة قبل الاسلام بقرون طويلة اذ ذكرها المؤرخ الروماني « بلينوس – Pliny » (٢٣ – ٧٩م) مرة باسم « قطراى – Catarae'e » ومرة اخرى باسم « اعراب قطر – Catharrei Nomads » ، كما ذكرها بطليموس الجغرافي في خريطة لبلاد العرب باسم مدينة « قطرا – Katara » وقال انها على بعد نصف درجة من « الجرعاء – Gerra » التي يرجح الباحثون انها كانت تقوم على البقعة التي تقع عليها ميناء العقير(١) اليوم على ساحل الخليج في المملكة العربية السعودية . ويعتقد بعض المؤرخين ان مدينة قطر ، التي اطلق اسمها على شبه الجزيرة ، كانت تقوم على البقعة التي تقع عليها خرائب مدينة « الزبارة » على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر .

والمعروف ان قطر كانت تعتبر جزءاً من اقليم قديم كان يعرف ، منذ القرن الرابع الميلادي حتى القرن السادس عشر ، باسم « البحرين » ، ويمتد من البصرة الى سواحل عمان بما فيها الجزر المقابلة لها . وكان يشمل ما يعرف اليوم بالكويت ، والاحساء في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ، وقطر ، والبحرين ، والامارات العربية المتحدة . ومن القبائل التي سكنت البحرين في بدء تاريخها قبائل طسم وجديس من العرب (٢) البائدة ، بعد ان نزحت طائفة منهم من اليمامة واستقرت في البحرين . وقد ذكر « بلينوس » ان قبيلتي « جولوبس – Gaulopes » و« خطي – Ghateni » كانتا تقيمان على سواحل خليج القطيف . ولا شك ان اقليم « الخط » (٣) الممتد على طول ساحل البحرين ، الذي ورد في مؤلفات الجغرافيين العرب ، يعود بتسميته الى هذه القبيلة التي استقرت في هذه المقاطعة في العصور الحالية ، ولعل موقع « الخطيّة » على الساحل الغربي لشبه جزيرة قطر يقوم على البقعة التي دعاها بلينوس « Ghattaei » على سواحل الخليج العربي . وتشير بعض الألواح الصلصالية ، التي عثر عليها في مدينة « اور » الكلدانية القديمة في العراق ، الى اتصال حضارات ارض الرافدين بالخليج منذ أقدم الأزمنة (٤) ، فقد تأثرت منطقة البحرين ومنها قطر بمدنيات الامم القديمة في العراق وفارس من سومرية وأكادية وبابلية وآشورية وفارسية . وكانت مياه الخليج مسرحاً لنشاط اساطيلها التجارية . ولم يقتصر الأمر على هذه الأمم بل ان الاسكندر المقدوني طمعاً في الاستيلاء على ثروات الشرق ، قام بحملته المشهورة ، ففتح بلاد فارس وتوغل في الهند ، واثناء عودته عام ٣٢٦ ق . م . امر « نياركوس – Nearchus » امير البحر بأن يبحر من مصب السند الى مصب الرافدين للتعرف الى الشريان الذهبي لتجارة الشرق ، فكان ان تجول فيه واستطلعه بالتفصيل وتعرف بالدقة الى الشواطيء العربية للخليج . وهذا ما حدا بالاسكندر الى وضع الخطط الحربية لفتح بلاد العرب والاستيلاء على خيراتها غير انه مات قبل ان يعد حملته . وفي هذه الفترة استعاد الفرس قوتهم في حين أخذت

(١) راجع عدد جمادى الأولى ١٣٩٢ من قافلة الزيت « ميناء العقير » (٢) تاريخ الطبري (٣) «تاريخ العرب قبل الاسلام » لجواد علي (٤) راجع عدد جمادى الأولى



الامبراطورية الرومانية توجه انظارها نحو الشرق ، حيث البخور واللبان ، والتوابل، والحجارة الكريمة ، والحرير ، والعطور ، تلك السلع التي كانت من أهم اسباب النزاع المرير بين الرومان والفرس . ثم جاء الاسلام ليبدد حجب الظلام الذي خيم على العالم ، فانطلق العرب تجمعهم راية الايمان ليقوضوا صروح أعظم الامبراطوريات حينذاك وينشروا مبادىء الدين الاسلامي الحنيف . وسرعان ما أصبح الخليج بحيرة اسلامية بلغت فيه التجارة اوج ازدهارها في العصور العباسية بفضل استتباب الأمن وحماية التجارة . فتدفقت على مياه الخليج الثروات الاسطورية التي اسهب في وصفها المؤرخون والرحالون والمغامرون ، وبقي الخليج على هذا المستوى من الازدهار حتى تنبهت اوروبا الى تجارة الشرق ، فسارع البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والبريطانيون لاحتكار هذا الطريق الحيوي .

ثم ما لبثوا ان حولوا تجارة الخليج الى رأس الرجاء الصالح مما اثر في أهميته تدريجياً حتى مطلع القرن العشرين ، حينما اخذت مكانته تبرز من جديد بعد تدفق الثروة البترولية الهائلة منه لتسهم في النهوض بالحركة العمرانية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية التي راحت تعم منطقة الخليج بأسرها .

هذا التاريخ الحافل لم تكن شبه جزيرة قطر بمنأى عنه ، فقد عاشت احداثه وتأثرت بها كثيراً . ويذكر صاحب «معجم البلدان» ياقوت الحموي ، انه ينسب الى قطر النعام ونجائب الابل ، وكانت لها فيها سوق شهيرة منذ القدم . فهذا الشاعر الراعي يقول :

الأوب أوب نعائـم قطريـة
والآل آل نحائص حقب

فقد نسب النعام الى قطر لاتصالها بالبر ورمال يبرين ، والنعام تبيض فيها فتصاد وتحمل الى قطر . أما جرير فقد عبر عن اعجابه بنجائب الابل القطرية بقوله :

لـدى قطريات اذا ما تغوّلت
بها البيد غاولن الحزوم الفيافيا

وقطر كانت كغيرها من موانيء البحرين تزدهر فيها صناعة السيوف والرماح الخطية التي كانت تحمل من بلاد الهند لتثقّف ، اي تقوّم فيها ، ولعل « الخطية » القريبة من « دخان » كانت مرفأ قطر الذي اشتهر بهذه الصناعة ، قال الشاعر عمرو بن شأس :

بأيديهم سمر شداد متونها
من الخط او هندية احدثت صقلا

الا ان اهم ما عرفت به قطر برودها التي كانت تنسجها وتصدرها الى الخارج ، وقد وصفت (٥) بانها حمر لها أعلام ، وفيها بعض الخشونة ، كما وصفها بعضهم بالجودة . وعلى ما يبدو ان هذه الشهرة استمرت الى ما بعد ظهور الاسلام ، فالرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لبس البرد القطري ، وكذلك زوجه السيدة عائشة ، رضي الله عنها ، كانت تلبس درعاً من منسوجات قطر ، كما انه كان للخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، ازار قطري مرقوع برقعة من ادم .

ومن الشعراء الفرسان الذين ينسبون الى قطر الشاعر الخارجي قطري بن الفجاءة (٦) نسبة الى قطر ، وهو رمز الفروسية والشجاعة ، حيث ولد في الاعدان ، وهو المكان المعروف اليوم باسم « المعدان » في الجنوب الشرقي من قرية « الخوير » شمال قطر . وقطري معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة ، وعرف بشجاعته واقدامه وكثرة حروبه . وسيرة هذا الشاعر البطل مبثوثة في كثير من المصادر التاريخية ، ومن شعره مخاطباً نفسه :

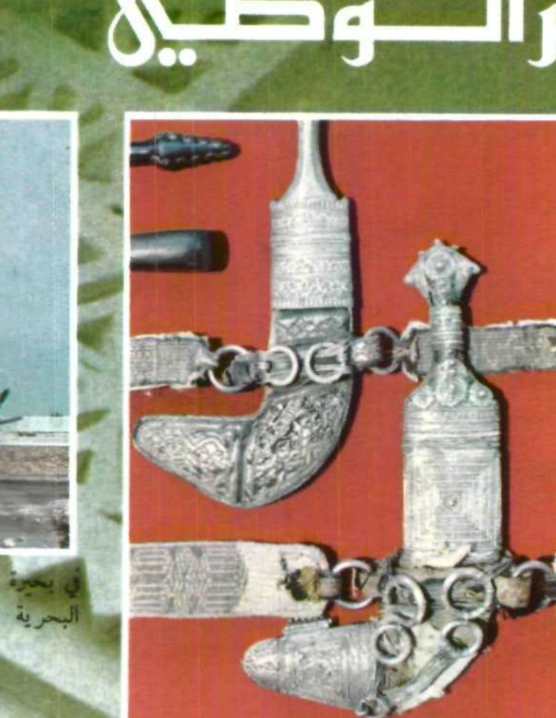
اقول لها وقد طارت شعاعا
من الأبطال ويحك لن تراع
فانك لو سألت بقاء يوم
على الاجل الذي لك لم تطاع
فصبراً في مجال الموت صبرا
فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حي
فداعيه لأهل الأرض داع

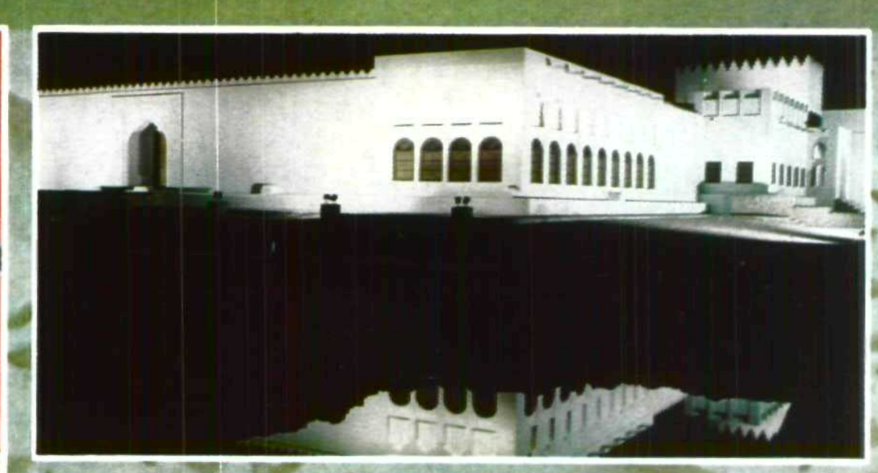
أما تاريخ قطر الحديث فيرتبط بمطلع القرن الثامن عشر ، حين وفدت على البلاد من واحة يبرين في المملكة العربية السعودية أسرة آل ثاني التي تنتمي الى قبيلة بني تميم من اشهر القبائل العربية في الجزيرة . فقد عملت هذه الاسرة على انهاء النفوذ العثماني في شبه جزيرة قطر ، ومن بعده النفوذ البريطاني ، ونالت قطر استقلالها في أول شهر سبتمبر ١٩٧١ ، ولم تلبث ان انضمت الى جامعة الدول العربية ومنظمة الأمم المتحدة . ومنذ ذلك الحين وقطر تغذ الخطى لمواكبة ركب التقدم ●

سليمان نصرالله ـ هيئة التحرير

قافلة الزيت « الخليج العربي . . مستودع لثروات هائلة » (٥) « لسان العرب » و « الطبقات » لابن سعد . (٦) « وفيات الاعيان » لابن خلكان .

متحف قطر الوطني





منظر عام لمتحف قطر الوطني الذي يجمع بين أصالة الماضي واشراقة الحاضر .



من بين معروضات المتحف هذه الخناجر البديعة ←

في بحيرة
البحرية

المتحف الحديث المطل على مياه الخليج الزمرديّة في الدّوحة عاصمة دولة قطر، أنشئ خصّيصاً ليساعد الأجيال الصّاعدة على فهم وتقويم التراث العريق لقطر خاصة، ودُول الخليج العربيّة عامة.



الزائر خمسة قوارب مختلفة الانواع تمثل امجاد أبناء قطر

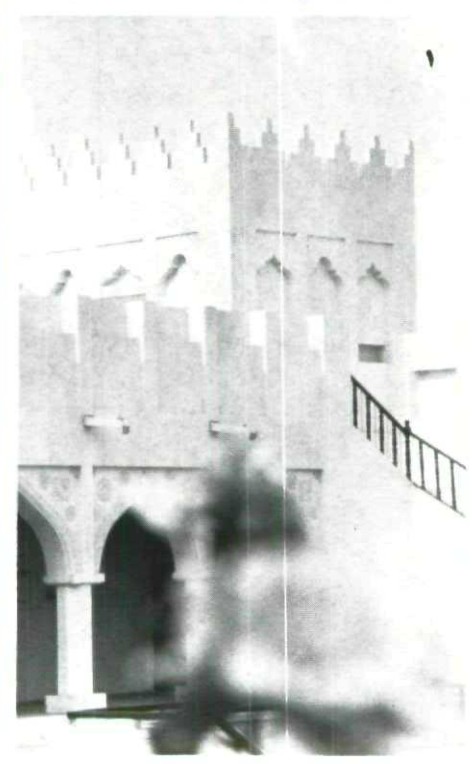
حفاظاً على تراث المنطقة ، ليبقى شعلة مضيئة تنير للشباب الصاعد سبل التطور والتقدم والبناء ، على أساس متين ، دعائمه الماضي التليد ، وتقاليده العريقة ، ومبادئه الاسلامية السامية ، وحتى لا تنسى الأجيال الصاعدة الادوار التاريخية التي شكلت السمات الرئيسية لهذا البلد وابعاده الحضارية الى ان انتهى الى ما هو عليه الآن ، وجه صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر عنايته الخاصة لانشاء متحف وطني في مدينة الدوحة ، تضم اقسامه كل ما يمت بصلة الى تراث منطقة الخليج العريق ، بحيث تمثل معروضاته الادوار التاريخية التي مرت بها قطر منذ اقدم العصور حتى يومنا هذا : الصحراء القاحلة بقبائلها التي الفت الحل والترحال طلباً للكلأ والماء ، البحر بشواطئه الوادعة ومياهه الدافئة تتهادى على صفحاتها قوارب صيادي السمك وغواصي اللؤلؤ ، والتجار الذين اوصلتهم اسفارهم البحرية الى تخوم الصين والسواحل الشرقية لافريقيا .

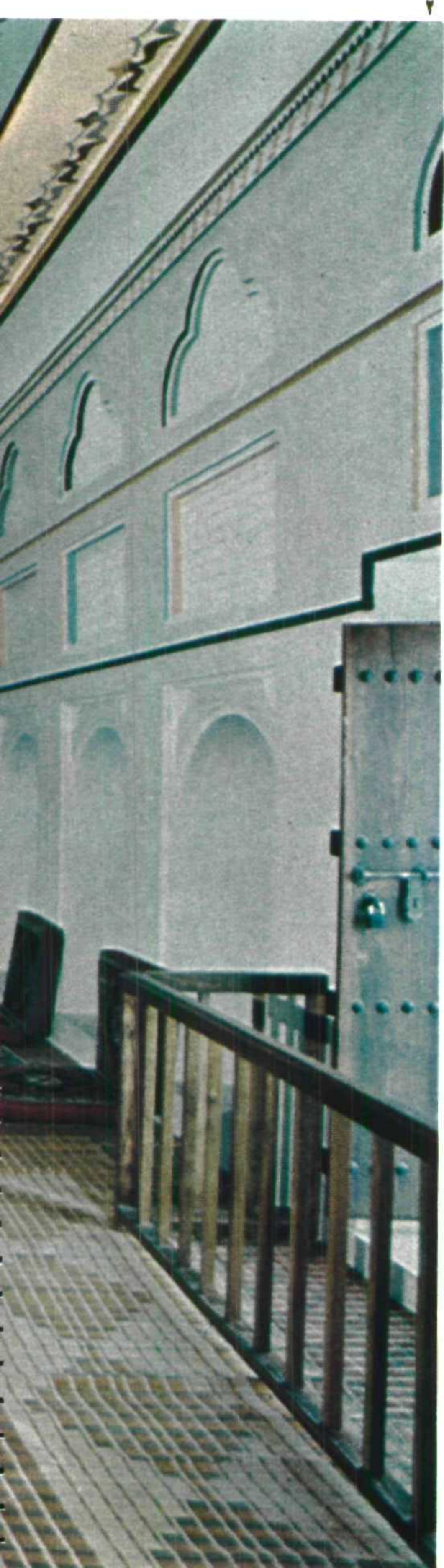
ومتحف قطر الوطني لا يقتصر على تمثيل التراث التاريخي لقطر ، بل يمثل ايضاً المنطقة الخليجية بأسرها ، باعتبار ان قطر منذ ازمان سحيقة خضعت للظروف والمؤثرات والأحداث ذاتها التي المت بمنطقة الخليج ، وقد عبر عن هذه الناحية ، صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، في خطاب له في الذكرى الأولى لتوليه مقاليد الحكم ، اذ قال : ان قرار تأسيس متحف قطر الوطني ، ما هو الا تعبير عن اهتمام الحكومة بتوفير الدليل المادي لامجاد شعبنا ، وعرضه بشكل تفخر به الأجيال المقبلة ، وأضاف سموه قائلاً : ان المتحف سيكون بعون الله تعالى ملتقى للعلماء ، والباحثين ، وطلاب العلم الذين يرغبون في الاطلاع على تاريخ قطر بوجه خاص ، ومنطقة الخليج بوجه عام .

ومتحف قطر الوطني الذي جرى افتتاحه في يونيو ١٩٧٥ ، يقوم على بقعة جميلة في «حي السلطة» على شارع الكورنيش ، الذي يقع على محاذاة الشاطىء على امتداد خليج الدوحة ، بحيث تطل مبانيه الفريدة في طرازها المعماري الذي يجمع بين أصالة الماضي واشراقة الحاضر في انسجام اخاذ ، تطل على مياه الخليج الهادئة ، التي تربض فيها السنابيك والجلابيت وغيرها من أنواع القوارب ، التي تعتبر رمزاً حياً لامة بحرية عريقة ، عرف أهلها منذ فجر التاريخ بركوبهم البحر واقتحام اهواله ، حتى لقد اطلق عليهم «سادة الشراع» . ولما كانت قطر قديماً صحراء مقفرة التمس أهلها اسباب الرزق في جوف البحر كغيرهم من سكان المنطقة ، فامتهنوا استخراج اللؤلؤ وصيد الأسماك ومزاولة التجارة . ووصف بعضهم ذلك الواقع بقوله : اضحى سكان قطر بدواً رحلاً فوق البحر . وقال سائح مرّ بقطر منذ حوالي قرن من الزمان « ان الناس يعتمدون في معاشهم على البحر لا على اليابسة ، وانهم في الغالب يعيشون على شواطىء البحر ، ويتجولون في مياهه ما يقرب من نصف السنة ، وذلك في الغوص على اللؤلؤ . اما في النصف الآخر من السنة فانهم يصطادون السمك ويمارسون اعمال التجارة . وهكذا فان بيوتهم الحقيقية هي القوارب ، والتي تملأ المرفأ الهادىء او تشكل خطاً أسود طويلا على الشاطىء » . وقد اختير القصر القديم في حي « السلطة » ليكون نواة للمتحف ، لأنه يمثل الطراز المعماري السائد في الخليج ، وقد أنيط بوزارة الأشغال العامة العمل على ترميم

١ ـ احد المباني العشرة التي جرى ترميمها وتجديدها لتصبح متحف قطر الوطني الرائع الذي يحكي قصة قطر منذ القدم .

٢ ـ قاعة فخمة ذات طابع عربي أصيل مفروشة بالسجاد ومصفوفة على جوانبها أرائك خفيضة مريحة.

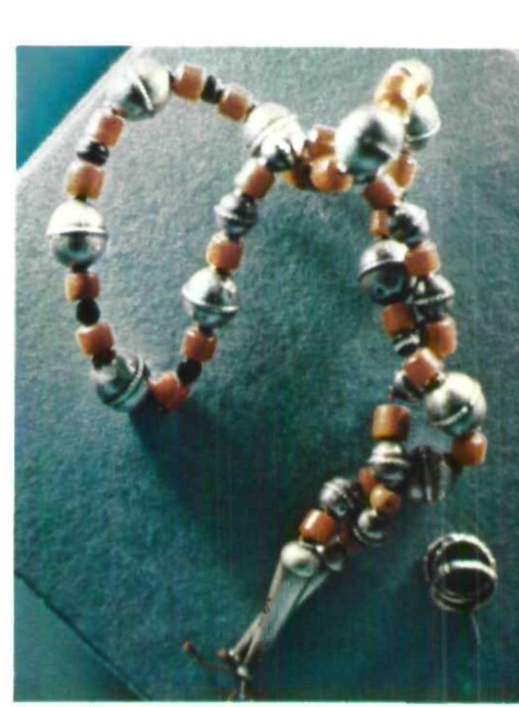






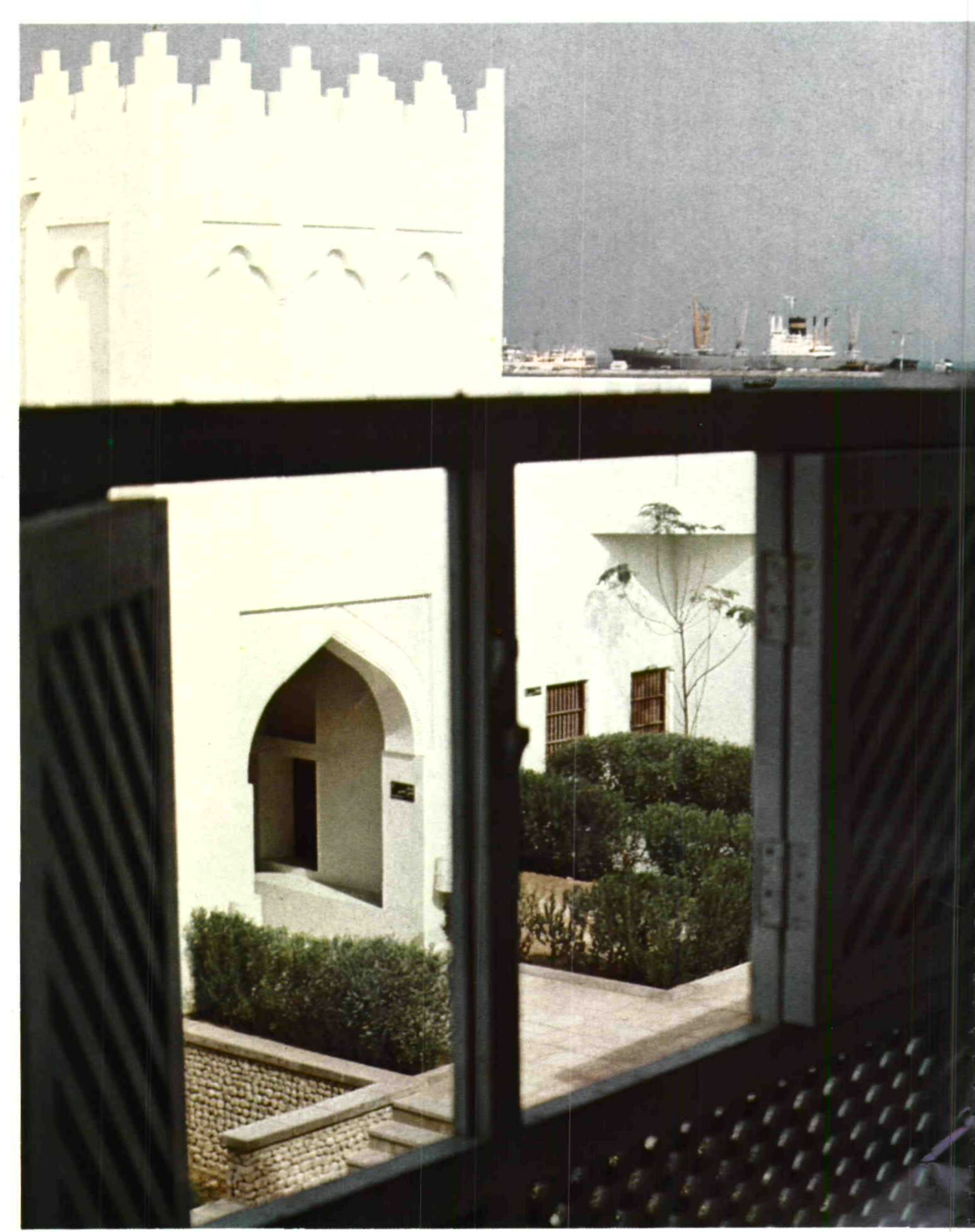
وتجديد المباني القديمة ، كما انتدب بعض من المهندسين المعماريين من شركة « ارفنج وجونز – Irving and Jones » لتصميم المباني الجديدة . اما بالنسبة للاقسام-الداخلية فقد انيطت بشركة « مايكل رايس-Michael Rice » البريطانية المختصة بتنسيق المتاحف ، فجاء المتحف تحفة معمارية يمتزج فيها القديم والحديث بانسجام أخاذ . وقد روعي في تصميمه ان يعكس المراحل التاريخية من العصر الحجري القديم ، مروراً بالعصر الاسلامي ، الى عصر البترول . وقد ركز المصممون على ابراز الناحية الانسانية من تاريخ قطر ، بوصفها العنصر الرئيسي في تشكيل أبعاد ذلك التاريخ .

والزائر للمتحف تبهر ناظريه الجدران الخارجية المكسوة بالجص المصقول الناصع البياض ، الذي يتلألأ تحت أشعة الشمس ، ويقف مأخوذاً بالزخارف والنقوش الجصية المنتشرة في سقوف وردهات ودهاليز المتحف ، وتأسره حدائق المتحف المنسقة بممراتها المغطاة بالحصباء ، والمغروسة بالياسمين وأشجار السنط والسرو ، والورود والزهور التي تقوم في وسطها نوافير الماء . ويشاهد الزائر وهو يشق طريقه عبر الحدائق العبقة الى مباني المتحف أسراب العصافير وهي تتطاير من بين الشرفات القائمة على اعمدة مصقولة ذات النوافذ المشبكة لتحط على افنان الاشجار والورود .

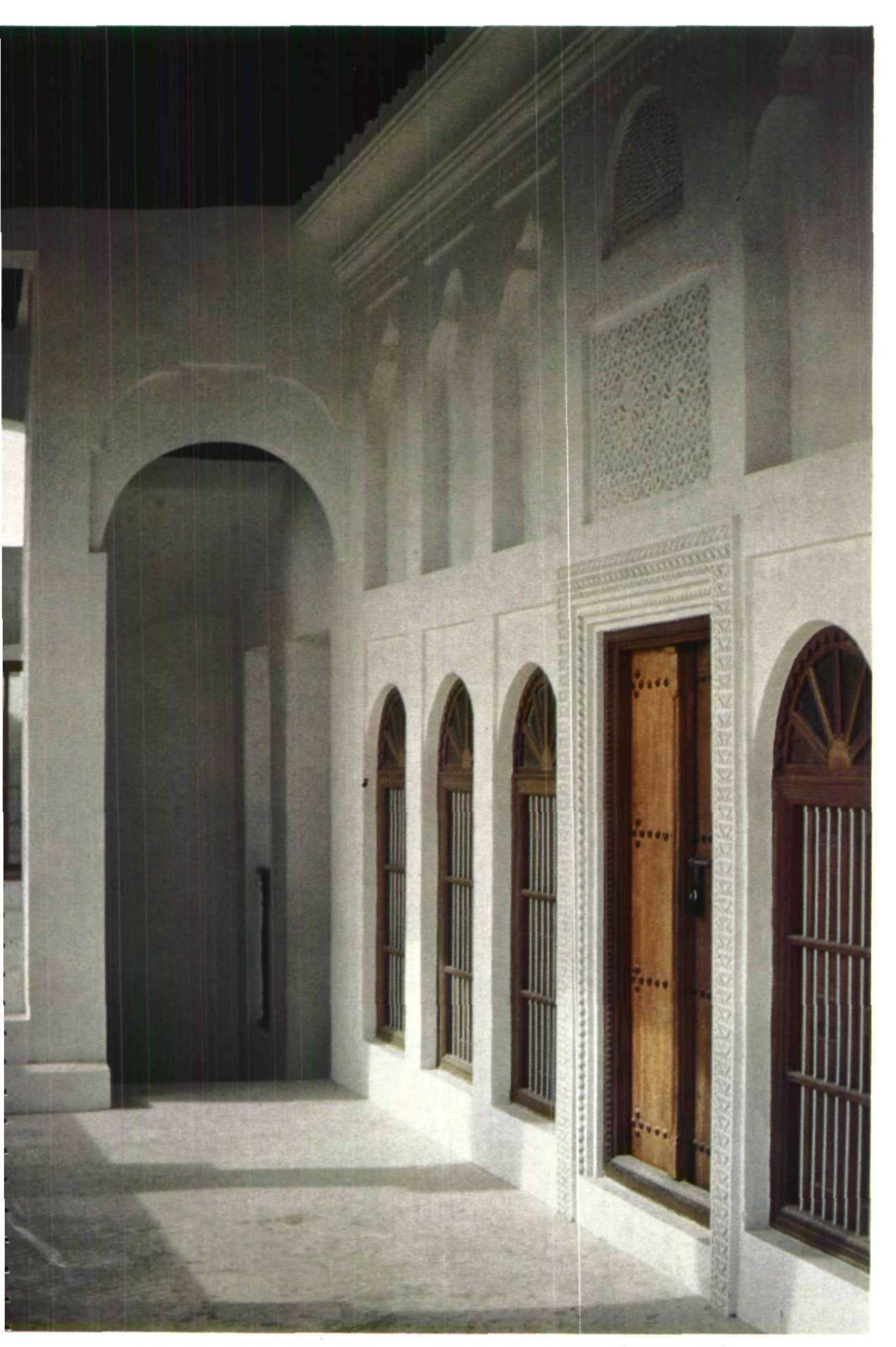


قطعة من الحلي المعروضة في متحف قطر .

أحد السقوف العالية المصنوعة من الخشب المحفور من سمات البناء القديم في قطر .



شرفات المتحف القائمة على اعمدة مصقولة تطل على الحدائق المنسقة المغروسة بالأشجار الوارفة الظلال.



الأبواب والنوافذ الخشبية المقنطرة والسقوف العالية هي سمة الطابع الغالب في المباني القديمة في قطر .

والمتحف يتألف من القصر العربي القديم الذي يشاهد فيه الزائر تراث قطر العريق عبر محتويات معروضة في قالب فريد جديد ، والمبنى الحديث المؤلف من طابقين الذي تعرض فيه انجازات الدولة ويضم قسم التاريخ الطبيعي والمجموعات الاثرية والاثنوغرافية والوسائل الايضاحية وتراث البادية ، ولوحات تمثل بيئة قطر الطبيعية والجغرافية ، والمتحف البحري ومعرض الاحياء المائية الذي يضم عينات للانواع الرئيسية من الأسماك والأحياء المائية الموجودة في مياه الخليج ، والبحيرة الصناعية التي تحتضن نماذج للسفن الخليجية المختلفة التي تعيد الى الذاكرة أمجاد قطر البحرية حينما كانت تمتلك نحو ثلث أسطول الخليج لصيد اللؤلؤ . هذا وتزدان الجدران الداخلية بآيات من القرآن الكريم ومقتطفات شعرية رائعة . وعند المدخل يعرض فلم حي يستعرض ظروف حياة البدوي القاسية والتاريخ الجيولوجي للمنطقة ومشاهد مختلفة لشبه الجزيرة العربية مأخوذة من الفضاء .

أما معروضات المتحف ، فإلى جانب جمال تنسيقها ، تحكي قصة قطر منذ القدم حتى اللحظة التي يعيشها الزائر في ارجاء المتحف . فهناك خريطة كبيرة تبين المواقع الأثرية التي تعود الى عصور ما قبل التاريخ ، وصورة زيتية حائطية لنقوش صخرية بالاضافة الى الفؤوس والمثاقب الحجرية . كما يشاهد الزائر مجموعة من السيوف والبنادق القديمة والقطع النقدية ، والمجوهرات والحلي والبسط والمنسوجات الصوفية والوسائد والسروج والسجف وادوات مصنوعة من النحاس والخشب والجلد . كما يشاهد الزائر الحياة النباتية والحيوانية لشبه جزيرة قطر عبر لوحات وملصقات بديعة الشكل حيث تشاهد الابل ، والخيل ، والوضيحي النادر ، والصقور ، وكلاب الصيد من نوع السلوقي ، وانواع مختلفة من الطيور البرية والبحرية . واذا ما فرغ الزائر من مشاهد الحياة الصحراوية يمكنه ان يصعد الى الطابق الثاني لينتقل الى عصر البترول عبر معرض متكامل يضم لوحات فنية وملصقات ونماذج تعكس صناعة البترول والتقدم الذي احرزته دولة قطر في جميع المجالات . ويغادر الزائر متحف قطر الوطني لترتسم في ذهنه قصة كفاح طويل تمتد جذورها الى اعماق الزمن لتروي ما حققه أبناء قطر من تطور سريع في مختلف مناحي الحياة ●

سليمان نصر الله – هيئة التحرير



..ج الضوء» وحوله درج لولبي يؤدي إلى الطابق الثاني حيث تعكس معروضاته ابعاد التطور في قطر .

شكوى

للشاعر: الدكتور حسين مجيب المصري

أيعودُ النسيمُ بالعطرِ ، كلا
فربيعُ الغرامِ عنّي تولّى

سيؤوب الربيع لو غابَ دهراً
ليرى الكونْ بالجمال تحلّى

ويُوافي ببسْمةٍ منهُ زهْراً
وأنا الزهرُ يذْرِفُ الدمعَ طلاّ

ويمنّي بطلعةِ الفجْر طيرا
وأنا الطيرُ في دُجى الليْلِ ضلاّ

ما رأى في خمائل الروض وكرا
ما درى وهو تائه أين حلاّ

أطفأ الآن شمعتي نور صبح
وسنا البدر أصبح اليوم ظلا

سكّن اليأس موجتي خفق جرح
ما روت وهي تلثم الشط رملا

سهّد الصد ليلتي بعد أنس
وأنا الليل من اسميه وصلا !

أظمأ اليأس مهجتي بعد كأس
دفقت ريّ ذلك القلب سيلا

أوصد الحب جنتي لهف نفسي
وعذابي أن تفقد الروح خلا

كيف أحيا في محنتي ، ان رمسي
يتمنى منه البكاء الأقلاّ

كيف أبقى في وحدتي ليت شعري
قد تطول الحياة طولا مملا

أين تمضي بي خطوتي ، ثم عمري
وطويت الطريق سهلا وتلاّ

أي شيء في راحتي ، طال سعيي
من هباء لي راحة ليس تملا

من دموعي لحبتي كان سقيي
أي غصن عليّ يوماً أطلاّ

من ولوعي ولوعتي قلت شعري
أي عين قد شاهدت منه قولا

زفرات صعدتها حرّ ناري
فكأن الرماد عقد تدلّى

همسات رددتها في انكساري
ألنفسي قلت الحبيب تجلّى ؟

ذا شراعي منى انطوى وسط بحري
ولعيني العميق قد بان ضحلا !

سرت في الجمر يحتويني بقفري
قطر غيث حسبت حين استهلا

ذاك سهمي مضى وقد غاب عني
قلت هلاّ رجعت يا سهم هلاّ

إن حبي انقضى ، فشكواي مني
أي جدوى من (ربما) أو (لعلا)

د . حسين مجيب المصري – القاهرة



الحياة البدوية تظهر بجلاء من خلال الحاجيات التي لا غنى
عنها للبدوي كدلال القهوة وأباريق الشاي والهاوون والكور
والحداجات والزروج ، والبسط ، والأزياء القطرية الجميلة .
راجع مقال «متحف قطر»   تصوير : وليام تريسي وجيان لوجي سكارفيو

